المجتمع
مجلة المسلمين في أنحاء العالم

الاقتصاد العالمي

حلٌّ أم أزمة؟

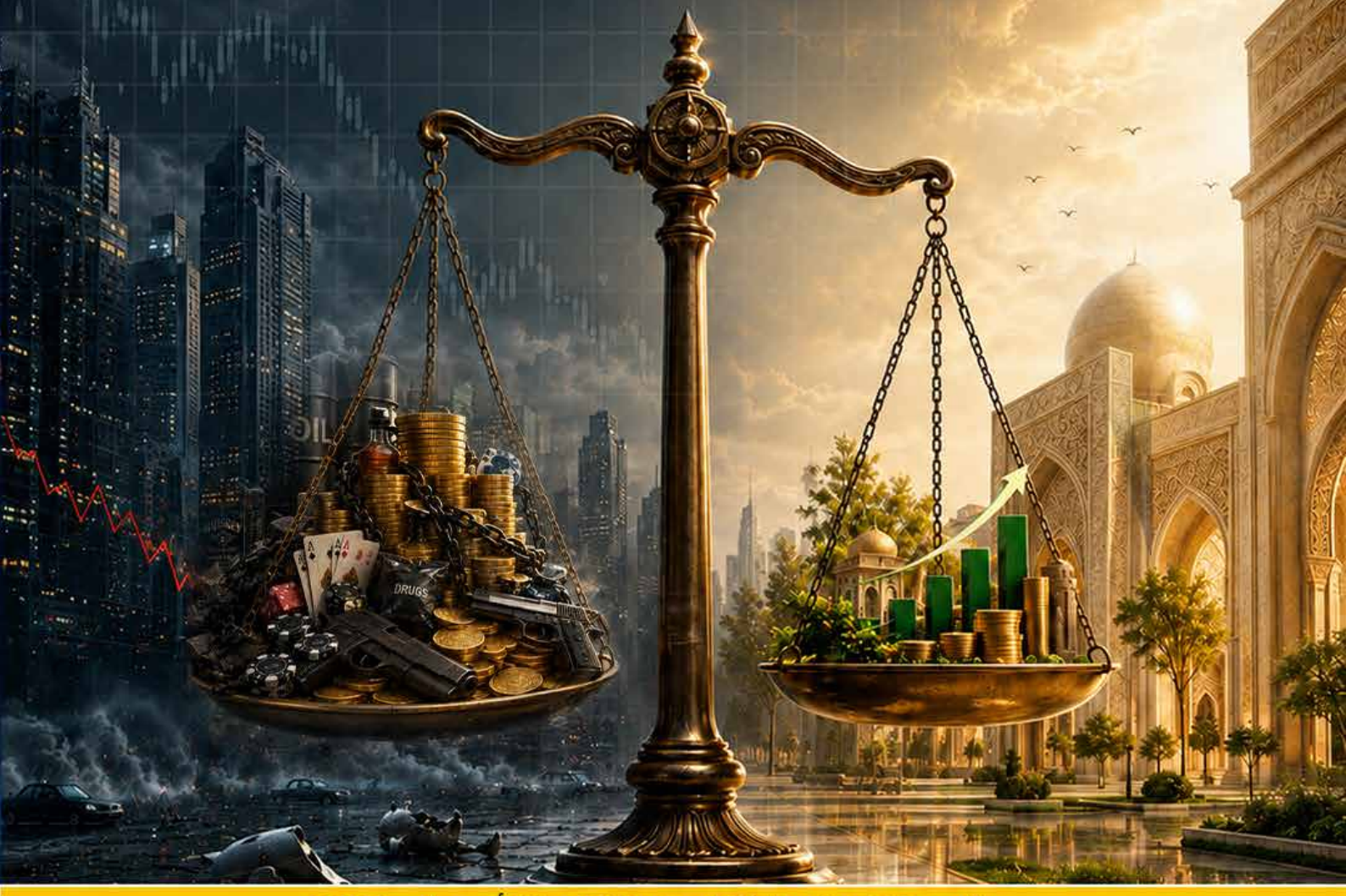

العدد 2218 ـ السنة (57) صفر 1448هـ / 1 أغسطس 2026م

الكويت 750 فلساً ـ السعودية 10 ريالات ـ البحرين دينار بحريني ـ قطر 10 ريالات ـ سلطنة عمان ريال عماني ـ الأردن 1.750 دينار أردني ـ لبنان 4500 ليرة ـ المغرب 23 درهماً

USA $ 5 - Canada $ 6 - Australia AUD 6 - URB 3.5 - India INR 110 - Pakistan PRS 200 - Turkey TRY 7 - U.k £ 3

الموقع عربي

ENGLISH SITE

بوابة إلإستشارات
الإلكترونية

بوابة أرشيف
المجتمع

المجتمع
مجلة المسلمين في أنحاء العالم
تأسست عام 1970
AL-MUJTAMA
SINCE 1970

الأعداد الورقية والإصدارات

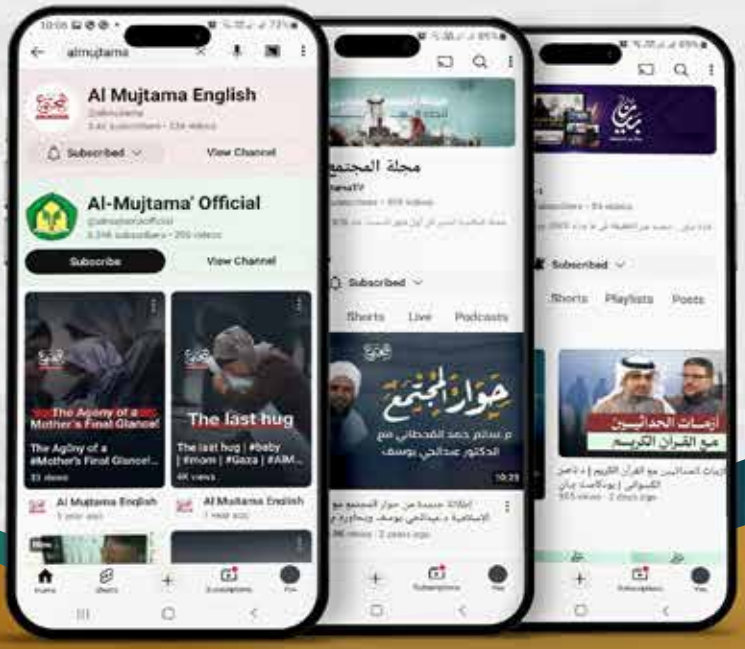

منصات
PLATFORMS

العدد (٢٢١٨) - السنة (٥٧)

AL-MUJTAMA'A

المجتمع

مجلة المسلمين في أنحاء العالم

في هذا العدد:

الاقتصاد العالمي.. حلٌّ أم أزمة؟

«شاهين».. أكبر صفقة استثمارية أجنبية في تاريخ الكويت بـ16 مليار دولار 6

نماء الخيرية تضع حجر الأساس لقرية «القطوف الدانية» السكنية باليمن..... 8

«الإصلاح» تطلق منظومة معرفية وشرعية لتعزيز استدامة العمل الإنساني..... 10

د. عبدالله العبدالمنعم: العالم على شفا أزمة مالية.. والكويت في حصن نقدي متين..... 20

الأسباب الحقيقية للأزمة المالية العالمية المتوقعة.. نظرة إسلامية..... 22

هل تعيد أزمة «هرمز» صياغة النظام الاقتصادي العالمي؟..... 24

ثلاثي الاقتصاد الإسلامي الواعد.. تركيا وباكستان وأفغانستان تكافح المنظومة الربوية بمقاربات إسلامية 28

دور الزكاة والوقف في الحد من تداعيات الأزمة الاقتصادية..... 34

السياسة الإيرانية تجاه الخليج.. الجذور التاريخية والتحولات المعاصرة (2)..... 38

قراءة في أداء الإعلام الكويتي خلال الأزمة الخليجية الأخيرة..... 66

حركة «المجتمع» في فضاء الإعلام

أمر الله سبحانه وتعالى المسلم أن يعيش حياته نسيجاً واحداً متكاملاً شاملاً لله عز وجل، وأمره أن يكون شعاره في الحياة ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾﴾ (الأنعام).

وأراد الإسلام من أتباعه أن يعيشوا حياتهم الاجتماعية والسياسية والعلمية والنفسية والتربوية والإعلامية، وما شئت من أسماء ومسميات مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بعرى هذا الدين سواء بسواء، ومن هذا المنطلق القيمي تنطلق «المجتمع» في فضاء الإعلام، متخذة شمولية الرسالة الإعلامية شعاراً لها؛ فتجمع بين الشأن الديني والتناول السياسي والتحليل الاقتصادي والتوجيه الأسري والتربوي.■

إسلامية شهرية

تأسست عام ١٣٩٠هـ - ١٩٧٠م

جمعية الإصلاح الاجتماعي. الكويت

رأس مجلس إدارتها

حتى ١٤٢٧/٨/١٠ هـ - ٢٠٠٦/٩/٣ م

عبد الله علي المطوع يرحمه الله

رئيس التحرير:

سالم القحطاني

الآراء المنشورة بـ«المجتمع» تعبر عن رأي أصحابها وليست بالضرورة تعبر عن رأي المجلة

المراسلات:

العنوان البريدي: الكويت ص.ب (٤٨٥٠) الصفاة. الرمز البريدي (١٣٠٤٩)

التحرير

٢٢٥١٤١٨٠ - ٢٢٥١٩٥٣٩

٢٢٥١٣٦١٦ (داخلي ٢٠٥).

mujtamaa@gmail.com

info@mugtama.com

الاشتراكات والتوزيع

تليفاكس: ٢٢٥٦٠٥٢٣ (٠٠٩٦٥)

sales@mugtama.com

الموقع الإلكتروني

www.mugtama.com

موقع جمعية الإصلاح

www.eslah.com

رأي المجتمع

﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ وَلَكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٩٦﴾ أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى أَن يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا بَيَاتاً وَهُمْ نَآئِمُونَ ﴿٩٧﴾ أَوَ أَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى أَن يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴿٩٨﴾ أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللّهِ فَلاَ يَأْمَنُ مَكْرَ اللّهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ﴾

سورة الأعراف

هل يقف العالم على حافة زلزال اقتصادي؟

لا يحتاج العالم اليوم إلى حرب عالمية جديدة حتى يهتز اقتصاده؛ فإغلاق مضيق هرمز، أو حتى التلويح بإغلاقه، كفيل بإثارة موجة من القلق تجتاح الأسواق، وتدفع أسعار الطاقة إلى مستويات غير مسبوقة، وتربك حركة التجارة، وتضع الاقتصاد العالمي أمام اختبار بالغ الصعوبة، فذلك الممر البحري الضيق شريان تتدفق عبره مصالح العالم، وإذا تعثر النبض؛ شعر الجميع بالألم.

لقد أثبتت السنوات الأخيرة أن الاقتصاد العالمي أصبح أكثر هشاشة مما كان يُظن؛ فالجائحة، ثم الحروب، ثم اضطرابات سلاسل الإمداد، كشفت جميعها أن العالم يعيش حالة اعتماد متبادل تجعل أي أزمة إقليمية مرشحة لأن تتحول إلى أزمة دولية، وإذا كان العالم لم يتعافَ بعدُ من آثار موجات التضخم والركود، فإن أي تعطيل لحركة الطاقة في الخليج قد يدفعه إلى مرحلة أشد اضطراباً، تتجاوز حدود الأرقام إلى حياة الناس ومعاشهم وأمنهم الغذائي.

غير أن أخطر ما تكشفه هذه الأزمات ليس ارتفاع أسعار النفط، وإنما هشاشة النظام الدولي الذي ربط استقرار الاقتصاد العالمي بممرات محدودة وبؤر ملتهبة، حتى أصبح مستقبل الملايين رهينة قرار سياسي أو مواجهة عسكرية أو حسابات قوى لا تعبأ غالباً بمصالح الشعوب.

ومن هنا، فإن العالم الإسلامي مطالَب بأكثر من متابعة الأخبار وتحليل التطورات؛ إنه مطالَب بإعادة بناء رؤيته الاقتصادية على أسس من التكامل والتخطيط والاستقلال النسبي، فبلدان الأمة تمتلك ثروات هائلة، ومواقع إستراتيجية، وأسواقاً واسعة، وطاقات بشرية قادرة على صناعة مستقبل مختلف، لكنها تحتاج إلى إرادة سياسية، وتعاون اقتصادي حقيقي، واستثمار في الأمن الغذائي والصناعي والتقني، حتى لا تبقى أسيرة الأزمات التي يصنعها الآخرون.

إن الإسلام يدعو إلى صناعة القوة والاستعداد للمستقبل لا إلى انتظار الأقدار.

والأزمات، مهما اشتدت، ليست دعوة إلى الخوف، وإنما نداء إلى اليقظة، ومراجعة الأولويات، وحسن إدارة الموارد، وترسيخ ثقافة الاعتماد على الذات، فالأمة التي تُحسن قراءة التحولات، وتستثمر إمكاناتها، قادرة على تحويل المحن إلى منح، والتهديدات إلى فرص للنهوض.

قد يشتد اضطراب الأسواق، وقد تتغير خرائط التجارة، وقد تتبدل موازين القوى، لكن الحقيقة التي لا تتغير أن الأمن الحقيقي لا يُبنى على المصالح العابرة، وإنما على العدل، وأن الاستقرار الاقتصادي لا يصنعه الاحتكار والصراع، وإنما يصنعه التعاون والإنصاف واحترام حقوق الشعوب.

وفي زمن تتسارع فيه الأزمات، تبقى رسالة الأمة الإسلامية واضحة؛ أن تكون شاهدة على الناس بقيمها قبل قوتها، وبأخلاقها قبل مصالحها، وأن تقدم نموذجاً في التوازن بين الإيمان والعمل، وبين التوكل والأخذ بالأسباب، وبين استشراف المستقبل والثقة بوعد الله، فذلك هو الطريق الذي يحفظ الأوطان، ويصون الثروات، ويمنح الإنسان الطمأنينة وسط عالم يموج بالمتغيرات ■

وكلاء التوزيع

الكويت: شركة باب الكويت للصحافة:
ت : ٢٢٢٧٢٧٣٣ ف: ٢٢٢٧٢٧٣٦
distribution@alanba.com.kw

الشركة السعودية للتوزيع
Saudi Distribution Co.

السعودية:الشركة السعودية للتوزيع:
www.saudidistribution.com
الإدارة العامة: الرياض
٠٠٩٦٦١٢١٢٨٠٠٠
فرع الرياض: ٠٠٩٦٦١٢٧٠٥٨٣٧
فرع جدة: ٠٠٩٦٦٢٦٥٣٠٩٠٩
فرع الدمام: ٠٠٩٦٦٣٨٤٧٣٥٦٩
قطر :
دار الثقافة ت: ٤٦٢٢١٨٢ / ف: ٤٦٢١٨٠٠
البحرين :
مؤسسة الأيام للصحافة والنشر والتوزيع
ت : ٧٢٥١١١ / ف : ٧٢٣٧٦٣
TURKIYE- DUNY SUPER DAGITIM

الاشتراكات

الكويت: ١٠ دنانير كويتية
الدول العربية: ١٧ دينارا كويتيا
الدول الأجنبية: ٢٥ دينارا كويتيا
للمؤسسات والشركات: ٣٠ دينارا كويتيا
تشمل عمولة التحويل

الإعلانات

امتياز الإعلان : مجلة المجتمع
ت: ٢٢٥٤٤٧٧٧ - ٩٧٢٢٨٢٩٠ الكويت.

«شاهين».. أكبر صفقة استثمارية أجنبية في تاريخ الكويت بـ16 مليار دولار

كتب- المحرر المحلي:

أعلنت مؤسسة البترول الكويتية، في ٢٥ يوليو ٢٠٢٦م، توقيع شركة نفط الكويت التابعة لها اتفاقية تأجير وإعادة تأجير شبكة خطوط الأنابيب المحلية المخصصة لتصدير النفط الخام ضمن مشروع شاهين الكويت، بقيمة إجمالية تبلغ ١٦ مليار دولار، مع تحالف يضم نخبة من كبار المستثمرين العالميين في قطاع البنية التحتية والمؤسسات الاستثمارية، بقيادة صناديق تديرها شركات «بلاكستون» و«بروكفيلد» و«كي.كي.آر».

وقالت المؤسسة في بيان، وفق ما نقلته «وكالة الأنباء الكويتية»: إن الاتفاقية تتضمن تأسيس شركة شراكة جديدة في دولة الكويت تتولى استئجار حقوق استخدام ١٣ خط أنابيب تابعة لشركة نفط الكويت، تمتد لمسافة تقارب ٣٢٠ كيلومتراً ضمن شبكة نقل النفط الخام.

وبموجب الاتفاقية، تمنح الشركة الجديدة شركة نفط الكويت حقوق الاستخدام الحصري والتشغيل والصيانة لهذه الأصول لمدة ٢٠ عاماً ونصف عام، مقابل تعرفة ترتبط بحجم التدفقات النفطية عبر الشبكة.

شراكة إستراتيجية

وأوضحت مؤسسة البترول الكويتية أن شركة نفط الكويت والتحالف الاستثماري سيؤسسان الشركة المشتركة، مع احتفاظ الجانب الكويتي بحصة الأغلبية البالغة ٥١٪، فيما يمتلك التحالف الاستثماري حصة ٤٩٪ موزعة بالتساوي بين الأطراف المشاركة وبالشروط ذاتها.

وأكدت المؤسسة أن ملكية شبكة خطوط الأنابيب والسيطرة التشغيلية عليها ستبقيان بالكامل لدى شركة نفط الكويت، مشددة على أن الاتفاقية لا تفرض أي قيود على مستويات الإنتاج أو عمليات التكرير، إذ تظل جميع القرارات التشغيلية والإنتاجية خاضعة بالكامل لدولة الكويت.

وتوقعت المؤسسة أن تحقق الصفقة عوائد نقدية مقدمة بقيمة ٧,٨٥ مليارات دولار لصالح شركة نفط الكويت عند إتمامها، بما يدعم خطط الإنفاق الرأسمالي لمؤسسة البترول الكويتية، وفي مقدمتها برنامج رفع الطاقة الإنتاجية للنفط الخام إلى ٤ ملايين برميل يومياً بحلول عام ٢٠٣٥م.

وتسهم اتفاقية مشروع شاهين النفطي في دعم جهود الكويت لتنويع مصادر التمويل، وتعزيز مشاركة المستثمرين العالميين في الاقتصاد الوطني، بما يتماشى مع خطط التنمية ورؤية الدولة طويلة الأمد لتنويع الاقتصاد.

وأكدت مؤسسة البترول الكويتية أن مشروع «شاهين» يمثل أكبر استثمار أجنبي مباشر في تاريخ دولة الكويت، ويعكس جودة أصول شركة نفط الكويت وكفاءة الأداء التشغيلي للمؤسسة، إلى جانب جاذبية البيئة الاستثمارية الكويتية للمؤسسات المالية العالمية.

وأضافت أن الاتفاقية تعد من أبرز الاستثمارات الأجنبية الكبرى في منطقة الخليج العربي خلال الفترة الأخيرة، بما يعكس قدرة الكويت على التكيف مع التحديات الإقليمية، واستمرار ثقة المستثمرين الدوليين بالاقتصاد الكويتي وقطاع الطاقة.

وأشارت إلى أن الشراكة الجديدة لا تقتصر على العوائد المالية المباشرة، بل تستهدف أيضاً تعزيز حضور رؤوس الأموال العالمية في الاقتصاد الوطني، ودعم مشاريع تطوير البنية التحتية الإستراتيجية لقطاع الطاقة.

ومن المقرر أن تخضع الصفقة لأحكام القوانين واللوائح المعمول بها في دولة الكويت، مع استكمال المتطلبات التنظيمية والقانونية والحصول على الموافقات الرسمية اللازمة.

رسالة ثقة دولية

وقال نائب رئيس مجلس الإدارة والرئيس التنفيذي لمؤسسة البترول الكويتية الشيخ نواف سعود ناصر الصباح: إن مشروع «شاهين» يمثل محطة مفصلية في مسيرة التنمية الاقتصادية للكويت، باعتباره أكبر استثمار أجنبي مباشر في تاريخ البلاد.

وأوضح أن المشروع يجسد الالتزام الذي أعلنه سمو رئيس مجلس الوزراء الشيخ أحمد عبدالله الأحمد الصباح خلال معرض الكويت للنفط والغاز ٢٠٢٦م، بشأن استقطاب نخبة المستثمرين العالميين للمشاركة في تطوير البنية التحتية الإستراتيجية، مع الحفاظ الكامل على الملكية الوطنية والسيطرة التشغيلية.

ورحب الشيخ نواف الصباح بشركات «بلاكستون» و«بروكفيلد» و«كي.كي.آر» كشركاء إستراتيجيين طويلي الأمد في هذه الصفقة، مؤكداً أن مشاركتهم تعكس ثقتهم بمرونة الاقتصاد الكويتي وجودة أصول مؤسسة البترول الكويتية ورؤيتها المستقبلية لتطوير قطاع الطاقة.

وشدد على أن مشروع «شاهين» يبعث برسالة واضحة حول استمرار مكانة الكويت كوجهة جاذبة لرؤوس الأموال العالمية، وقدرتها على استقطاب الاستثمارات النوعية رغم التحديات الإقليمية الراهنة. ■

«وفّـر».. حملة وطنية تعزز استقرار الكهرباء وترسخ ثقافة الترشيد

في ظل ارتفاع درجات الحرارة وزيادة الأحمال الكهربائية خلال فصل الصيف، برزت الحملة الوطنية «وفّر» التي أطلقتها وزارة الكهرباء والماء والطاقة المتجددة الكويتية بوصفها نموذجاً للتكامل بين مؤسسات الدولة والمجتمع في مواجهة التحديات المرتبطة بارتفاع استهلاك الطاقة والمياه، وقد حظيت الحملة بتفاعل واسع من المواطنين والمقيمين والجهات الحكومية والأهلية، وأسهمت في تخفيف الضغط على الشبكة الكهربائية، والحفاظ على استقرار المنظومة خلال ساعات الذروة.

وأكد مجلس الوزراء أن الاستجابة الكبيرة للحملة عكست مستوىً عالياً من الوعي المجتمعي وروح المسؤولية الوطنية، مشيداً بسرعة تفاعل المواطنين والمقيمين مع دعوات الترشيد، كما دعا إلى مواصلة الالتزام بالاستهلاك الرشيد للكهرباء والمياه، بما يمكّن وزارة الكهرباء والماء والطاقة المتجددة من تجاوز الظروف الاستثنائية وضمان استدامة الخدمات.

وتركزت رسائل الحملة على أهمية تقليل استهلاك الكهرباء، خصوصاً خلال الفترة من الساعة ١١ صباحاً حتى ٥ مساء، وهي ساعات الذروة التي تسجل أعلى معدلات الطلب على الطاقة، وقد أثمرت هذه الجهود عن نتائج ملموسة في خفض الاستهلاك مقارنة بالمعدلات المتوقعة.

وأكدت المتحدثة الرسمية باسم الوزارة، م. فاطمة حياة، أن التزام المواطنين والمقيمين بإجراءات الترشيد مكّن الوزارة من تجاوز مرحلة صعبة شهدتها المنظومة الكهربائية، وأسهم في دعم جهود الفرق الفنية للحفاظ على استقرار الشبكة واستمرارية الخدمة دون انقطاع.

وأوضحت أن النجاح الذي حققته الحملة جاء نتيجة تعاون جميع الجهات، بما في ذلك المؤسسات الحكومية والقطاع الخاص ووسائل الإعلام، التي كثفت نشر الرسائل التوعوية عبر مختلف المنصات؛ الأمر الذي عزز ثقافة الترشيد ورسخ مفهوم المسؤولية المشتركة في المحافظة على الموارد.

وفي إطار التكامل المؤسسي، شاركت وزارة الشؤون الإسلامية في الحملة عبر نشر رسائل توعوية من خلال منصاتها الإعلامية، إضافة إلى تخصيص خطبة الجمعة للحديث عن أهمية ترشيد استهلاك الكهرباء والمياه، وربط ذلك بالقيم الإسلامية الداعية إلى الاعتدال ونبذ الإسراف.

كما اتخذت الوزارة عدداً من الإجراءات العملية داخل المساجد، شملت استخدام الإضاءة الموفرة للطاقة، وإيقاف سخانات المياه خلال فصل الصيف، وإطفاء الأجهزة الكهربائية في الأماكن غير المستخدمة، وتركيب مرشدات استهلاك المياه، بما يدعم الجهود الوطنية للحفاظ على الموارد.

ومن جانبها، أعلنت وزارة النفط انضمامها إلى حملة «وفّر» انطلاقاً من مسؤوليتها الوطنية في دعم الاستدامة، مؤكدة أن مشاركتها تركز على نشر ثقافة كفاءة استخدام الطاقة، والتوعية بمواطن الهدر، وتعزيز أفضل الممارسات لترشيد استهلاك الكهرباء والمياه، ولا سيما خلال موسم الصيف.

وتؤكد حملة «وفّر» أن الحفاظ على استقرار منظومة الكهرباء والمياه لا يعتمد على الإجراءات الحكومية وحدها، بل يقوم على شراكة حقيقية بين الدولة والمجتمع، حيث يمثل ترشيد الاستهلاك سلوكاً حضارياً ومسؤولية وطنية تسهم في حماية الموارد الطبيعية، وضمان استدامة الخدمات، وتعزيز أمن الطاقة في الكويت خلال الظروف الاستثنائية وما بعدها. ■

نمـــاء الخيريـــة تضع حجر الأساس لقرية «القطوف الدانية» السكنية بمحافظة تعز اليمنية

وضعت نماء الخيرية بجمعية الإصلاح الاجتماعي حجر الأساس لمشروع قرية «القطوف الدانية» السكنية في مديرية موزع بمحافظة تعز، وذلك برعاية محافظ محافظة تعز نبيل شمسان، وبالتعاون مع مؤسسة الرفقاء للتنمية الإنسانية، في إطار جهودها الإنسانية والتنموية الرامية إلى توفير مساكن آمنة وكريمة للأسر الأشد احتياجاً، وتعزيز الاستقرار المعيشي في المناطق المتضررة.

وخلال فعالية وضع حجر الأساس، أكد وكيل محافظة تعز محمد الصنوي أهمية المشروع في التخفيف من معاناة الأسر المستفيدة، مشيراً إلى أن توفير بيئة سكنية آمنة يمثل خطوة مهمة نحو تحسين الظروف المعيشية للأسر الأكثر احتياجاً.

كما أشاد بالدعم الإنساني الذي تقدمه دولة الكويت عبر نماء الخيرية، مؤكداً أنه يجسد عمق العلاقات الأخوية والتاريخية بين الشعبين الشقيقين.

وأكد رئيس قطاع التنمية والإغاثة في نماء الخيرية خالد مبارك الشامري أن مشروع قرية «القطوف الدانية» يأتي امتداداً لرسالة نماء الخيرية في توفير الحياة الكريمة للأسر الأكثر احتياجاً، من خلال تنفيذ مشاريع تنموية تتجاوز الإغاثة العاجلة إلى إيجاد حلول مستدامة تعزز الاستقرار الاجتماعي وتحفظ كرامة الإنسان.

وأوضح أن المشروع يجسد حرص نماء الخيرية على الاستثمار في المشاريع ذات الأثر طويل المدى، لافتاً إلى أن توفير المسكن الآمن يمثل ركيزة أساسية في تحسين جودة حياة الأسر، ويمنحها بيئة مستقرة تساعدها على بناء مستقبل أفضل، خاصة في المناطق التي تأثرت بالظروف الإنسانية الصعبة.

وأشار الشامري إلى أن المشروع يعكس عمق الشراكة الإنسانية بين دولة الكويت والجمهورية اليمنية، ويترجم قيم التكافل والعطاء التي يتميز بها أهل الكويت، مثمناً في الوقت ذاته التعاون المثمر مع مؤسسة الرفقاء للتنمية الإنسانية والسلطة المحلية بمحافظة تعز، الذي أسهم في إطلاق هذا المشروع الحيوي.

من جانبه، ثمّن مدير عام مكتب الشؤون الاجتماعية والعمل بمحافظة تعز فؤاد الفقيه التدخلات الإنسانية والتنموية التي تنفذها نماء الخيرية بالتعاون مع مؤسسة الرفقاء للتنمية الإنسانية، مؤكداً أن مشروع قرية «القطوف الدانية» يمثل نموذجاً نوعياً للمشاريع التنموية التي تسهم في تعزيز الاستقرار الاجتماعي، وتحسين جودة الحياة للأسر المستهدفة.

وأشار إلى أن المشروع يأتي ضمن الشراكة الفاعلة بين السلطة المحلية ونماء الخيرية وشركائها في العمل الإنساني، بهدف توفير حلول سكنية مستدامة تلبي احتياجات الفئات الأكثر احتياجاً، وتسهم في دعم جهود التنمية المجتمعية بمحافظة تعز. ■

.. وتنفذ مشروع «إطعام الطـــ

نفذت نماء الخيرية بجمعية الإصلاح الاجتماعي مشروع «إطعام الطعام» في عدد من مناطق قطاع غزة، بالشراكة مع جمعية الشمال للتنمية في فلسطين، وذلك ضمن جهودها الإنسانية الرامية إلى دعم الأسر المتضررة وتعزيز الأمن الغذائي في ظل الأوضاع الإنسانية الصعبة التي يشهدها القطاع.

واستفاد من المشروع أكثر من ١٠٠٠ أسرة، عبر توزيع أكثر من ١٠٠٠ سلة غذائية، احتوت على المواد الغذائية الأساسية، بما يسهم في التخفيف من الأعباء المعيشية عن الأسر الأكثر احتياجاً.

وفي هذا السياق، قال نائب رئيس مجلس إدارة جمعية الشمال للتنمية في فلسطين محمد عبدالغني المقيد: إن هذا المشروع يجسد عمق الشراكة الإنسانية مع نماء الخيرية، ويعكس حرصها الدائم على الوقوف إلى جانب أبناء الشعب الفلسطيني في مختلف الظروف.

وأضاف المقيد: نشكر نماء الخيرية بجمعية الإصلاح الاجتماعي على هذا الدعم الكريم، الذي أسهم في توفير الاحتياجات الغذائية الأساسية لأكثر من ألف أسرة في قطاع غزة، في وقت تتزايد فيه احتياجات السكان نتيجة الظروف الإنسانية الصعبة، لقد لمسنا أثر هذه

إطلاق النسخة الثانية من منصة «الراسخون».. واعتماد أكاديمي من جامعة خاتم المرسلين العالمية

أعلن مركز «الراسخون للتأصيل الشرعي» التابع لقطاع الدعوة والتثقيف الشرعي بجمعية الإصلاح الاجتماعي، إطلاق النسخة الثانية من منصة «الراسخون» الإلكترونية بحلتها الجديدة، وذلك ضمن جهود القطاع لتطوير منظومة التعليم الشرعي الرقمي وتقديم برامج علمية مؤصلة تراعي التدرج العلمي وتواكب التطورات التقنية الحديثة.

وأكد رئيس قطاع الدعوة والتثقيف الشرعي د. حمد يوسف المزروعي أن المنصة في نسختها الجديدة تمثل نقلة نوعية في مسيرة التأصيل الشرعي الإلكتروني، مشيراً إلى أن تطويرها جاء استجابة لحاجة المتعلمين إلى بيئة تعليمية أكثر تفاعلاً ومرونة وجودة.

وأوضح أن النسخة الثانية من المنصة تتضمن تطويراً شاملاً للمسارات التعليمية والمحتوى العلمي والأنظمة الإلكترونية، إلى جانب توفير أدوات تعليمية وتفاعلية جديدة تسهم في تحسين تجربة المتعلم، وتساعده على الانتقال المنهجي بين المراحل العلمية المختلفة.

المزروعي: نسعى لبناء جيل راسخ في العلم يجمع بين أصالة المنهج الشرعي وأدوات العصر الرقمية

وأضاف: نفخر بأن تتوج هذه المرحلة بحصول برامج المنصة على اعتماد من جامعة خاتم المرسلين العالمية، وهو اعتماد يعكس جودة المحتوى العلمي المقدم، ويمنح الدارسين مسارات تعليمية تجمع بين الرسوخ الشرعي والاعتراف الأكاديمي، بما يعزز من قيمة المخرجات العلمية والتربوية للمنصة.

ودعا الراغبين في الاستفادة من برامج المنصة إلى المبادرة بالتسجيل والانضمام إلى مساراتها التعليمية المختلفة، مؤكداً أن المنصة ستواصل تطوير برامجها وخدماتها بما ينسجم مع رسالتها وشعارها نحو علم راسخ وفهم أصيل.

يذكر أن مركز «الراسخون» للتأصيل الشرعي انطلق من رؤية واضحة تقوم على تقديم العلم الشرعي الأصيل بأسلوب ميسر ومنهج رصين يراعي التدرج العلمي للطالب، ويستثمر أدوات العصر وتقنياته الحديثة لخدمة رسالة العلم الشرعي ونشره بين مختلف فئات المجتمع. ■

ـــعام» في غزة

المساعدات بشكل مباشر لدى الأسر المستفيدة، التي تعاني أوضاعاً معيشية قاسية.

وأكد أن جمعية الشمال للتنمية حرصت على تنفيذ المشروع وفق أعلى معايير الشفافية، بما يضمن وصول المساعدات إلى مستحقيها، معرباً عن تطلعه إلى استمرار التعاون مع نماء الخيرية لتنفيذ المزيد من المشاريع الإغاثية والتنموية التي تسهم في تعزيز صمود أبناء الشعب الفلسطيني.

من جانبه، أكد نائب الرئيس التنفيذي في نماء الخيرية عبدالعزيز الكندري أن مشروع «إطعام الطعام» يأتي ضمن سلسلة من البرامج الإغاثية التي تنفذها نماء الخيرية استجابة للاحتياجات الإنسانية المتزايدة في قطاع غزة.

وقال: تواصل نماء الخيرية تنفيذ مشاريعها الإغاثية انطلاقاً من رسالتها الإنسانية في إغاثة المنكوبين وتخفيف معاناة الأسر المتضررة، وقد أسهم هذا المشروع في توزيع أكثر من ألف سلة غذائية على أكثر من ألف أسرة، بالشراكة مع جمعية الشمال للتنمية في فلسطين، بما يعزز وصول المساعدات إلى مستحقيها بكفاءة وسرعة.

وأضاف: نتوجه بالشكر إلى أهل الخير والمتبرعين الذين كان لعطائهم الدور الأساس في تنفيذ هذا المشروع، كما نثمن جهود شركائنا في جمعية الشمال للتنمية على دورهم الميداني المتميز، ونتطلع إلى مواصلة تنفيذ المزيد من المبادرات الإنسانية التي تلبي الاحتياجات الملحة للأشقاء في قطاع غزة. ■

مديرة إدارة المنصات والابتكار في نماء الخيرية عبير الهجرس لـ«المجتمع» (1 - 2):

إطلاق منظومة معرفية وشرعية لتعزيز استدامة العمل الإنساني

حوار – المحرر المحلي:

في إطار الجهود المتواصلة التي تبذلها نماء الخيرية بجمعية الإصلاح الاجتماعي لتعزيز الوعي المجتمعي وتطوير أدوات العمل الإنساني والتنموي، نسلط الضوء في هذا الحوار على مجموعة من المبادرات الريادية التي تمثل نقلة نوعية في خدمة الإنسان وبناء قدراته وتمكين المؤسسات من أداء دورها بكفاءة وفاعلية.

وتأتي مبادرتا «البوصلة» و«مركز نماء للتطوع» إلى جانب «منصة فتاوى العمل الخيري» و«منصة العمل الإنساني» كمنظومة متكاملة تعكس رؤية نماء الخيرية في الاستثمار في الإنسان أولاً، وتطوير العمل المؤسسي الخيري والإنساني وفق أسس علمية وشرعية وتنموية حديثة.

وفي هذا الحوار، مع مديرة إدارة المنصات والابتكار في نماء الخيرية بجمعية الإصلاح الاجتماعي عبير الهجرس، نقترب أكثر من هذه المشاريع النوعية، لفهم أبعادها وأهدافها والقيمة المضافة التي تقدمها للشباب والمجتمع والقطاع غير الربحي، في تجربة تعكس روح الابتكار والالتزام بالمسؤولية المجتمعية في دولة الكويت.

● ما مبادرة «البوصلة»؟ وما القيمة التي تضيفها للشباب؟

– تمثل مبادرة «البوصلة» مشروعاً وطنياً متكاملاً أطلقته نماء الخيرية انطلاقاً من إيمانها بأهمية الاستثمار في الإنسان، حيث تهدف إلى مساعدة الشباب على اكتشاف قدراتهم وميولهم وشغفهم عبر أدوات علمية تسهم في رسم مستقبلهم الأكاديمي والمهني بصورة أكثر وضوحاً وثقة، ولا تقتصر المبادرة على كونها منصة إلكترونية، بل تعد منظومة متكاملة تضم برامج وأدوات متعددة تتكامل فيما بينها لتحقيق أثر تنموي مستدام.

وتعتمد المبادرة على مجموعة من المقاييس العلمية العالمية التي تساعد الشباب على فهم شخصياتهم وتحليل اهتماماتهم وربطها بالمسارات التعليمية والمهنية الملائمة لهم، إلى جانب برامج الإرشاد والتوجيه التي تعزز الوعي الذاتي لدى الطلبة قبل اتخاذ القرارات المرتبطة بمستقبلهم.

كما تشمل المبادرة برامج متخصصة لإعداد وتأهيل المرشدين والمشرفين وفق أفضل الممارسات المهنية، إضافة إلى تنظيم المؤتمرات والملتقيات الشبابية التي تناقش قضايا التعليم والمستقبل المهني والمهارات المطلوبة في سوق العمل.

وتحرص كذلك على تنفيذ ورش العمل والأنشطة الميدانية التي تنمي ثقافة التخطيط للمستقبل واتخاذ القرار المبني على المعرفة، لذلك ننظر إلى «البوصلة» باعتبارها مشروعاً وطنياً لصناعة الوعي وتمكين الشباب من بناء مستقبلهم، وليس مجرد خدمة رقمية.

● ما الدوافع التي تقف وراء إطلاق مبادرة «البوصلة» في هذه المرحلة؟

– شهدت السنوات الأخيرة تحولات متسارعة في مجالات التعليم وسوق العمل؛ الأمر الذي وضع الشباب أمام تحديات متزايدة عند اختيار تخصصاتهم الأكاديمية ومساراتهم المهنية، ومن خلال تواصلنا المستمر مع الطلبة وأولياء الأمور، لمسنا حجم الحيرة التي يواجهها كثير من الشباب عند اتخاذ هذه القرارات المهمة.

كما لاحظنا أن العديد من الاختيارات تبنى أحياناً على الانطباعات الشخصية أو الضغوط الاجتماعية أو رغبات الأسرة، وهو ما قد يؤدي إلى عدم الرضا عن التخصص أو تغييره بعد سنوات من الدراسة.

ومن هنا جاءت فكرة «البوصلة» لتقديم أدوات علمية تساعد الشباب على اتخاذ قرارات أكثر دقة ووعياً، فنحن نؤمن بأن التوجيه الصحيح في مرحلة مبكرة يجنّب الكثير من التحديات المستقبلية، كما أن الاستثمار في الوعي المبكر يوفر على الأفراد والمجتمع الوقت والجهد والموارد؛ لذلك جاءت المبادرة استجابة لحاجة وطنية تسهم في إعداد جيل أكثر جاهزية وقدرة على التعامل مع متطلبات المستقبل.

● ما أبرز البرامج والمكونات التي تتضمنها مبادرة «البوصلة»؟

– تضم مبادرة «البوصلة» منظومة متكاملة من البرامج والأدوات التي تعمل ضمن إطار واحد يهدف إلى تمكين الشباب ومساعدتهم على اتخاذ قرارات أكثر وعياً بشأن مستقبلهم، ويأتي في مقدمة هذه المكونات مقياس «البوصلة» للميول الأكاديمية والمهنية، الذي يستند إلى أسس علمية معتمدة تساعد المشاركين على التعرف إلى قدراتهم واهتماماتهم.

كما تشمل المبادرة مقياس الشغف الذي يساعد الشباب على اكتشاف المجالات التي تمنحهم الحافز والتميز، إلى جانب برامج التوجيه الأكاديمي والإرشاد المهني التي تمكنهم من فهم نتائج المقاييس والاستفادة منها في التخطيط لمستقبلهم.

وتعمل المبادرة كذلك على إعداد وتأهيل مرشدين ومشرفين يمتلكون الكفاءة اللازمة لمساندة الشباب خلال رحلة اكتشاف الذات وبناء المسار المستقبلي، إضافة إلى تنظيم المؤتمرات والملتقيات الشبابية التي تجمع الخبراء والمتخصصين لمناقشة القضايا المرتبطة بالتعليم والمهن المستقبلية.

كما تنفذ مجموعة من ورش العمل والأنشطة الميدانية التي تربط بين المعرفة النظرية والتجربة العملية، لتتحول المبادرة إلى منظومة متكاملة تسهم في بناء الوعي وتعزيز القدرة على اتخاذ القرار، وتتجاوز مفهوم الاختبارات التقليدية إلى صناعة مستقبل أكثر وضوحاً للشباب.

● كيف تساعد المبادرة الشباب على اختيار التخصص الجامعي المناسب؟

– تنطلق مبادرة «البوصلة» من قناعة راسخة بأن الاختيار الصحيح يبدأ من معرفة الذات؛ فقبل أن يتعرف الشاب على التخصصات المتاحة، يحتاج إلى فهم قدراته وميوله واهتماماته بصورة دقيقة، ومن هذا المنطلق، تعتمد المبادرة على أدوات علمية متخصصة لتحليل الشخصية والميول والقدرات، بما يتيح تكوين صورة متكاملة عن كل طالب.

وبعد ذلك، تُربط نتائج هذه التحليلات بالمسارات الأكاديمية الأكثر توافقاً مع خصائصه الفردية، مع تقديم تفسير شامل يساعده على استيعاب أسباب التوصيات المطروحة أمامه، وتسهم هذه المنهجية في الحد من تأثير الضغوط الاجتماعية والانطباعات غير المبنية على أسس علمية، كما تمنح الطالب ثقة أكبر في اتخاذ قراره المصيري بشأن مستقبله الجامعي، ولا تسعى المبادرة إلى فرض خيارات محددة، بل تفتح أمام الشباب آفاقاً متعددة تتناسب مع إمكاناتهم، بما يقود إلى قرارات أكثر وعياً واستقراراً وفرصاً أكبر للنجاح والتميز.

● ما العلاقة بين مبادرة «البوصلة» وسوق العمل؟

– تدرك المبادرة أن العالم يشهد تحولات متسارعة تفرض واقعاً جديداً على التعليم والعمل، لذلك لا يقتصر دورها على توجيه الشباب نحو تخصصات أكاديمية بعينها، بل يمتد إلى إعدادهم لفهم متطلبات المستقبل واستشراف فرصه.

وتعمل «البوصلة» على مواءمة ميول الأفراد مع المهارات المطلوبة في مختلف القطاعات، وتشجع الشباب على التفكير بمنطق الفرص المستقبلية لا الوظائف التقليدية فحسب، كما تسهم المؤتمرات والورش المصاحبة في تعريف المشاركين بأبرز الاتجاهات الحديثة في سوق العمل، فيما تعزز الأنشطة التطبيقية لديهم مهارات التكيف والتعلم المستمر والمرونة في التعامل مع المتغيرات، وبذلك يصبح القرار الأكاديمي والمهني نابعاً من انسجام حقيقي بين قدرات الفرد واحتياجات المستقبل.

● كيف تسهم المبادرة في إعداد المرشدين والمشرفين؟

– إيماناً منها بأهمية الإرشاد النوعي في صناعة القرار، تحرص مبادرة «البوصلة» على إعداد كوادر وطنية مؤهلة تمتلك المعرفة والمهارات اللازمة لمرافقة الشباب في رحلتهم نحو المستقبل.

ولهذا توفر برامج تدريبية متخصصة للمشرفين والمرشدين، تتناول مهارات تحليل النتائج وتقديم الاستشارات الأكاديمية والمهنية وفق أحدث المعايير والممارسات العالمية، كما تركز على تنمية مهارات التواصل الفعال وفهم احتياجات الطلبة والتعامل مع تطلعاتهم المختلفة، وتسهم هذه البرامج في توحيد جودة الخدمات الإرشادية ورفع كفاءة منظومة التوجيه بشكل عام، ليصبح المرشد شريكاً حقيقياً في تمكين الشباب ومساعدتهم على رسم مساراتهم المستقبلية بثقة ووعي.

● كيف تنسجم «البوصلة» مع رؤية نماء الخيرية؟

– تنبع مبادرة «البوصلة» من رؤية نماء الخيرية التي تؤمن بأن الإنسان هو محور التنمية وغايتها، وأن بناء المجتمعات يبدأ من الاستثمار في الطاقات البشرية وتمكينها بالعلم والمعرفة والمهارة.

وتجسد المبادرة هذا التوجه من خلال العمل على تنمية وعي الشباب وتعزيز قدرتهم على اتخاذ قرارات واعية ومؤثرة في مستقبلهم، كما تترجم مفهوم التنمية المستدامة القائم على بناء رأس المال البشري، من خلال الربط بين التعليم والعمل والتطوع ضمن منظومة متكاملة تهدف إلى إعداد جيل يمتلك المعرفة والثقة وروح المبادرة، وبذلك تمثل «البوصلة» نموذجاً عملياً لرؤية نماء في صناعة أثر مستدام ينعكس إيجاباً على الفرد والمجتمع والوطن. ■

د. مطلق القراوي.. عاش للناس وترك أثراً لا يغيب

مكتب الوفاء- عادل العصفور:

ليس العمر بما يُقاس من سنوات، وإنما بما يتركه الإنسان من أثر في النفوس، وبما يغرسه من خير في حياة الناس، ومن الرجال الذين جمعوا بين نجاحهم المهني، والعمل الاجتماعي، والدعوة بالحكمة، والبذل في ميادين الخير، يبرز اسم د. مطلق راشد القراوي، الذي كرّس حياته لخدمة دينه ووطنه ومجتمعه، فكان نموذجاً في برّ الوالدين، وحسن الخلق، والوسطية، والعطاء الإنساني الذي تجاوز حدود الكويت إلى بلدان عديدة حول العالم.

نسلط الضوء على أبرز محطات حياته، وصفاته، ومواقفه، وإسهاماته الدعوية والخيرية، التي جعلت منه سيرة تستحق أن تُروى، وأثراً يبقى بعد رحيل صاحبه.

نشأته:

ولد مطلق القراوي في ٢٩ مارس ١٩٥٣م، بحي الوسط بمدينة الكويت، ثم انتقل وعائلته في عام ١٩٥٧م إلى منطقة «واو» (الدسمة) حيث نشأ وترعرع فيها، ونشأ في بيئة كويتية محافظة شكّلت وعيه وأمدَّته بالقيم الأصيلة، حيث تشرب من والده وأجداده حب الدين والوسطية، واحترام الكبير، والإخلاص في العبادة والعمل.

تميَّز منذ صغره بالالتزام، وبرزت عليه سمات القيادة المبكرة والحكمة، فكان المسجد مدرسته الأولى، والصحبة الصالحة رفاقه الذين شاركوه مسيرة التشكُّل الروحي والخُلقي.

وكان يرحمه الله من الشباب البارزين بالمنطقة حيث عرف عنه حسن الطباع ودماثة الأخلاق وطيب الذكر، وكان متواصلاً مع جميع أبناء المنطقة من جميع الفئات، ومثَّل أبناء المنطقة بعضوية مجلس إدارة جمعية الدسمة وبنيد القار التعاونية في منتصف الثمانينيات حيث برز عمله الاجتماعي بخدمة أهالي المنطقة.

بره بوالديه:

كان يرحمه الله باراً بوالديه ملازماً لهما حريصاً على قضاء حوائجهما، ويصل أرحامه، حتى وافتهما المنية؛ والده في عام ١٩٨٥م، ووالدته عام ٢٠١٢م.

دراسته:

درس المرحلة الثانوية بثانوية الجاحظ بمنطقة الدسمة، ثم معهد التكنولوجيا حيث حصل على دبلوم فني سنتين بعد الثانوية، وعُيِّن مساعد مهندس في وزارة الأشغال العامة.

ثم أكمل دراسته الجامعية في جامعة بيروت العربية حيث حصل على بكالوريوس في إدارة الأعمال في منتصف الثمانينيات.

ومن ثم التحق بجامعة كراتشي في باكستان؛ حيث اجتاز درجتي الماجستير والدكتوراة في الإدارة بالشريعة الإسلامية في بداية الألفين.

أهم صفاته:

من أهم صفاته أنه كان حليماً متأنياً يعطف على الصغير ويرحم الكبير ويصل الرحم حتى أصحاب والده وأقرباء والديه في كل مناسبة، وتمتع بالحكمة والفطنة؛ حيث لا تُعرض عليه مشكلة أو مسألة إلا وأتى بحلول سلسة وسهلة ومرضية.

كان سخياً وكريماً يكرم الضيف والجار والصديق، وصاحب ديوان عامر يزوره من خارج البلاد وداخلها من جميع المناطق ومن جميع فئات المجتمع، يحث على التواصل وقوة التلاحم.

أهم مواقفه:

من المواقف المؤثرة في بره بوالدته؛ أنه كان في مهمة عمل خارجية ممثلاً عن دولة الكويت في مدينة نيويورك بالولايات المتحدة الأمريكية، وفي منتصف رحلته أصاب والدته مرض وأدخلت على إثره المستشفى، فلم يهدأ له بال ولم يرتح وهو بعيد عنها، وقطع مهمته ورجع إلى البلاد رغم عناء السفر وبُعد المسافة، وما أن وصل إلى أرض الوطن ذهب مباشرة إلى المستشفى ليطمئن على والدته.

دوره الدعوي:

كان محباً لعمل الخير مجتهداً في نشر الدعوة، له الكثير من الأعمال الخيرية في مختلف بلدان العالم، وكان يرأس ويشرف على عدة أوقاف في هولندا وبريطانيا وتايلاند.. وغيرها.

وأشرف على بناء المساجد وحفر الآبار وبناء المدارس وكفالة الأيتام في مختلف بلدان العالم، وأسلم على يده الكثير.

يذكر أن بعد وفاته في أيام العزاء دخلت امرأة بريطانية على زوجته لتعزيها، وقالت لها: أنا دخلت الإسلام على يد د. مطلق، وهو من لقنني الشهادة، وصادف أني في زيارة للكويت وسمعت بخبر وفاته؛ فوجب عليَّ أن أعزي ذويه؛ لأنه له الفضل بعد الله عليَّ بدخولي للإسلام.

كان وسطي الفكر ليناً في الدعوة أباً في النصيحة، وكان متحمساً لعمل الخير لا يمل ولا يكل حتى في سنواته الأخيرة بعدما أنهكه المرض وضعفت قوته ومرض جسده، وعندما يقولون له: ارتح قليلاً، لم تعد قادراً على السفر والأعمال الخيرية، كان يرد: «ما ارتاح إلا إذا حطيت رجلي في الجنة».

وفاته:

عانى القراوي من المرض في سنواته الأخيرة، حيث أصيب بتليف كبدي أثر كثيراً على صحته وأدخل المستشفى مراراً، وذهب للعلاج بالخارج، وأوصاه الأطباء بضرورة عمل عملية زراعة كبد، ولم يطل الوقت إلى أن توفي يرحمه الله يوم ١ أغسطس ٢٠٢٥م. ■

المسجد مدرسة الأمة

د. يوسف السند

إمام وخطيب بوزارة الشؤون الإسلامية بالكويت

من المسجد انطلق الإسلام وتربّى المسلمون، وإلى المساجد الثلاثة تشد الأمة الرحال، ويجتمع الرجال فتُعرض الأهداف وتتحقق الأحلام والآمال، للحديث الذي رواه البخاري، ومسلم، وغيرهما عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لا تُشَدُّ الرِّحالُ إلَّا إلى ثَلاثةِ مَساجِدَ: مَسجِدِ الحَرامِ، ومَسجِدي، ومَسجِدِ الأقصى».

قال الحافظ ابن حجر في «الفتح» في شرح هذا الحديث (٣/ ٦٥): «في هذا الحديث فضيلة هذه المساجد ومزيتها على غيرها لكونها مساجد الأنبياء، ولأن الأول قبلة الناس وإليه حجهم، والثاني كان قبلة الأمم السالفة، والثالث أسس على التقوى»؛ ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ﴿٣٦﴾ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ﴾ (النور).

ومن المسجد ننطلق نحن المسلمين لإعادة مجد الإسلام وشريعته وحضارته للعالمين؛ فيتربى الصغار في حلق القرآن والعلم والذكر، ويتدرب الكبار على حسن التعامل الأخوي، وجمال التواصل القيمي، وينمو إيمان الكبار والصغار.

وأنوار البركات والخيرات والحسنات والطاعات في ارتياد المسجد والتربية في دوام ارتياده والجلوس فيه؛ عن أبي هُرَيرَةَ رَضِيَ اللهُ عنه، أنَّ النبيَّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم قال: «مَن غدَا إلى المسجِدِ أو راحَ، أعدَّ اللهُ له نُزُلَه من الجَنَّةِ كلَّما غدَا أو راحَ» (رواه البخاري، ومسلم).

وعن أبي مُوسى الأشعريِّ رَضِيَ اللهُ عنه، قال: قال النبيُّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم: «أعظمُ الناسِ أجراً في الصَّلاةِ أبعدُهم فأبعدُهم ممشى، والذي ينتظرُ الصَّلاةَ حتى يُصلِّيَها مع الإمامِ أعظمُ أجراً من الذي يُصلِّي ثم ينامُ» (رواه البخاري، ومسلم).

وعن أبي هُرَيرَةَ رَضِيَ اللهُ عنه قال: قال رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم: «مَن تطهَّرَ في بيتِه، ثم مَشَى إلى بيتٍ من بيوتِ اللهِ؛ ليقضيَ فريضةً من فرائضِ اللهِ، كانتْ خُطواتُه: إحداهما تحطُّ خطيئةً، والأخرى ترفعُ درجةً» (رواه مسلم).

وقد وصف أ. ياسين خليل جموع المؤمنين الذاهبين للمسجد فقال:

يمشون نحو بيوت الله إذ سمعوا
«الله أكبر» في شوق وفي جذل
أرواحهم خشعت لله في أدب
قلوبهم من جلال الله في وجل
هم الرجال فلا يُلهيهمُ لعبٌ
عن الصلاة، ولا أكذوبة الكسل

فما المسجد؛ بناء ولا مكاناً، كغيره من البناء والمكان، بل هو تصحيح للعالم الذي يموج من حوله ويضطرب؛ فإن في الحياة أسباب الزيغ والباطل والمنافسة والعداوة والكيد ونحوها، وهذه كلها يمحوها المسجد؛ إذ يجمع الناس مراراً في كل يوم على سلامة الصدر، وبراءة القلب، وروحانية النفس؛ ولا تدخله إنسانية الإنسان إلا طاهرة منزَّهة مُسْبِغَة على حدود جسمها من أعلاه وأسفله شعار الطُّهر الذي يسمَّى الوضوء، كأنما يغسل الإنسانُ آثارَ الدنيا عن أعضائه قبل دخوله المسجد. (مصطفى صادق الرافعي، وحي القلم).

وإنما جماع الخير في ارتياد المسجد، وذخيرة المسجد نعم زاد الانطلاق، ولقد أحصاها الحسن بن علي بن أبي طالب رضي عنهما فقال: «من أدام الاختلاف إلى المسجد أصاب ثماني خصال: آية محكمة، وأخاً مستفاداً، وعلماً مستطرفاً، ورحمة منتظرة، وكلمة تدله على هدى، أو تردعه عن ردى، وترك الذنوب حياء، أو خشية» (محمد الراشد، الرقائق).

وليعمل المسلمون على إحياء الدور الإيجابي للمسجد بكل إيجابية وحكمة وإحسان وإبداع.

فليكن المسجد نظيفاً مطيّباً، وحضور الإمام متميزاً بالتيسير والتبشير والتطوير، ومحبة لجميع المصلين بلا تفرقة، وانتظاماً في الأذان والإقامة، وإقامة الصلاة بتخفيف وتيسير، ودرساً قصيراً منوَّعاً (أقل من خمس دقائق) طوال الأسبوع، وخواطر تربوية حسب الموقف والحاجة، وأسابيع ثقافية بالتنسيق مع الوزارة، وتعارفاً وتواصلاً بين جماعة المسجد وديوانيات الحي، وديوانية أسبوعية أو بعد صلاة الجمعة.

وليكن الاعتدال والتوسط في الخطب والدروس، وحلقة قرآن للكبار والصغار، ومشاركة جماعة المسجد مع المؤسسة الدعوية، والتشاور والتحاور بين الإمام وجماعة المسجد فيما يخص المسجد واحتياجاته وحل المشكلات، والمحافظة على أمن المسجد والتزام تعليمات الوزارة في السراء والضراء، وتجنب المشكلات مع الإمام أو المؤذن، وحل المشكلات بالتفاهم والأخوة، ومعاملة أبناء المصلين بالرحمة والحكمة والرفق، وعدم التشهير بعيوب مسجد معين أو مسؤول عبر وسائل التواصل.

لقد آن للمسلمين أن يتخذوا المسجد مدرسة للصغار والكبار؛ للصلاة والعلم والتعليم والتواصل والتعارف وإصلاح ذات البين، وثبيت القوي وإعانته، وتقوية الضعيف وتحمله ونصحه وتعليمه، والرفق مع الأطفال وتحملهم وتعليمهم وتدريبهم على حسن ارتياد المسجد والالتزام بآدابه.

وقوة المسلمين تأتي من انطلاقة إيمانية من المسجد؛ روحاً وعبادة وقيماً وأخلاقاً وهمة في العبادة والطاعة، والنصر مقرون بالعبادة الصحيحة الخالصة لوجه الله تعالى: ﴿يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا﴾ (النور: ٥٥).

والحمد لله رب العالمين. ■

مؤسس أصول الحوار

د. عبدالحميد جاسم البلالي
داعية، رئيس مجلس إدارة جمعية «بشائر الخير»

الحوار وسيلة رئيسة من وسائل تبليغ الدعوة إلى الله، ولكن كثيراً من الدعاة تنقصهم معرفة أصول الحوار وآدابه، وقد بيّن الله تعالى هذه الأصول والآداب من خلال سيرة أبي الأنبياء سيدنا إبراهيم عليه السلام، وحواره المتكرر مع والده وقومه، وهو بحق مؤسس علم الحوار.

وما أحرى الدعاة باستلهام هذه الأصول والآداب من خلال سيرته التي وثقها القرآن الكريم، لقد برز في قصة سيدنا إبراهيم عليه السلام فن الحوار مع قومه، حتى غدت حواراته أساساً لمن أراد التعلُّم لفنون الدعوة إلى الله تعالى، وإذا أردنا أن نرسم أصول هذا الحوار، فإنه يبدأ بما يأتي:

أولاً: الإيمـــــان:

فلا يستطيع إنسان أن يتغلب على خصمه في الحوار ما لم يؤمن هو أولاً بالموضوع الذي يتحاور فيه، وكان سيدنا إبراهيم مؤمناً بقضية التوحيد وإفراد العبودية لله إيماناً مطلقاً، حيث قال الله تعالى عنه: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتاً لِلَّهِ حَنِيفاً وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ (النحل: ١٢٠).

ويقول سيد قطب في رسالته «أفراح الروح»: «آمن أنت أولاً بفكرتك، آمن بها إلى حد الاعتقاد الحار، عندئذ فقط يؤمن بها الآخرون».

ثانياً: إخلاص النية:

فالمحاور الذي يريد الشهرة، وزيادة المتابعين، وأن يكون مركز الاهتمام إعلامياً واجتماعياً، لن يوفقه الله أبداً في حواراته؛ فقد جاء في سنن الترمذي بإسناد حسن قول النبي صلى الله عليه وسلم: «مَنْ طَلَبَ الْعِلْمَ لِيُجَارِيَ بِهِ الْعُلَمَاءَ، أَوْ لِيُمَارِيَ بِهِ السُّفَهَاءَ، أَوْ يَصْرِفَ بِهِ وُجُوهَ النَّاسِ إِلَيْهِ، أَدْخَلَهُ اللَّهُ النَّارَ»، أما إبراهيم عليه السلام، فقد قال الله تعالى عنه: ﴿إِذْ جَاءَ رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ (الصافات: ٨٤).

وقال الإمام ابن القيم: «القلب السليم هو الذي سلم من الشرك، والغل، والحقد، والحسد، والشح، والكبر، وحب الدنيا والرئاسة، فسلم من كل آفة تبعده عن الله، وسلم من كل شبهة تعارض خبره، ومن كل شهوة تعارض أمره، وسلم من كل إرادة تزاحم مراده، وسلم من كل قاطع يقطعه عن الله».

ثالثاً: العلـــــم:

فالإخلاص والإيمان لا يكفيان لنجاح الحوار؛ إذ إن العلم بمسألة الحوار الأساس، فالحماسة الكبيرة، مع النية الحسنة والإيمان، لن تغني في قضية الحوار الناجح.

ولهذا كان العلم بارزاً في شخصية سيدنا إبراهيم، حيث قال تعالى: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَّن نَّشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾ (الأنعام: ٨٣).

فلا يجوز أن يأتي المحاور إلى الحوار وهو غير ملم بموضوعه من جميع جوانبه، أو غير مستعد بالحجج الدامغة على صحة حجته؛ فيكون سبباً في استهزاء أهل الباطل بأهل الحق، لضعف حججهم في مقارعة الباطل البيّن.

رابعاً: التلطـــف بالطـرف الآخر:

وهذا واضح في حوارات ومناظرات سيدنا إبراهيم مع أبيه وقومه، ومن ذلك تلطفه في حواره مع والده، إذ قال تعالى: ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنكَ شَيْئًا ﴿٤٢﴾ يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا﴾ (مريم).

ويقول الإمام الزمخشري: «انظر حين أراد أن ينصح أباه ويعظه فيما كان متورطاً فيه من الخطأ العظيم والارتكاب الشنيع الذي عصا فيه أمر العقلاء، وانسلخ عن قضية التمييز، كيف رتّب الكلام معه في أحسن اتساق،

وساقه أرشق مساق، مع استعمال المجاملة واللطف والرفق واللين والأدب الجميل والخلق الحسن».

ومما يؤسف له أن الغالب على جلسات الحوار، سواء في القضايا الأخلاقية أو الاجتماعية أو السياسية، هو السب، والشتائم، والانفعال، والقذف، والاتهامات، ورفع الصوت، فالحوار عندما تعلوه النبرة الأخلاقية، والتلطف مع الطرف الآخر، يترك أثراً إيجابياً، إما في حينه وإما بعد حين.

خامساً: البدء بالسؤال:

ومن ذلك قوله لأبيه وقومه، كما جاء في سورة الأنبياء: (إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ) (الأنبياء: ٥٢)؛ لقد كان يريد أن يسمع إجابتهم، وهو يعلمها مسبقاً، ولكن كانت وراء ذلك غايات، منها:

١- تثبيت إجاباتهم وضلالهم؛ حتى لا يتهموه بالتقول عليهم.

٢- اكتشاف حقيقة معتقدهم، وعدم الاكتفاء بما يُسمع عنهم.

٣- إظهار ضعفهم وخطئهم أمام الناس.

وفي هدي نبينا صلى الله عليه وسلم الكثير من هذا الأسلوب في حواره مع أصحابه، لتثبيت بعض أمور العقيدة، وإثارة الانتباه، وزيادة التركيز والتفاعل، ومن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم: «أتدرون ما المفلس؟»، «هل تدرون أين تذهب هذه الشمس؟»، «أرأيتم لو أن نهراً بباب أحدكم..»، «ألا أدلكم على ما يمحو الله به الخطايا؟».

سادساً: الخطاب العقلي والمنطقي:

وهو التركيز على ما تتفق عليه العقول، على سبيل المثال: الخالق يخلق والمخلوق لا يخلق.. لكل سبب مسبب.. لكل حركة محرك.. لكل موجود مُوجد.

وقد اعتمد إبراهيم عليه السلام هذا الأسلوب كثيراً في حواراته مع والده وقومه، ومن ذلك قوله تعالى: (قَالُوا أَأَنتَ فَعَلْتَ هَذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ ﴿٦٢﴾ قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِن كَانُوا يَنطِقُونَ ﴿٦٣﴾ فَرَجَعُوا إِلَى أَنفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنتُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٦٤﴾ ثُمَّ نُكِسُوا عَلَى رُؤُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَؤُلَاءِ يَنطِقُونَ ﴿٦٥﴾ قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ) (الأنبياء).

سابعاً: التـــــــدرج:

وهذا واضح في سورة «الأنعام»: (وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ آزَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا آلِهَةً إِنِّي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٧٤﴾ وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ ﴿٧٦﴾ فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ ﴿٧٧﴾ فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٧٨﴾ إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ) (الأنعام)، فقد كان يريد أن يوصل إليهم مفهوم أن الإله لا يزول ولا يأفل.

بدأ بما يؤمنون به من آلهة، وهو الكوكب، فقال: (هَذَا رَبِّي)، فلما أفل قال: (لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ)، ثم انتقل إلى القمر، فقال: (هَذَا رَبِّي)، فلما أفل رفض أن يكون إلهاً؛ لأن الإله لا يزول، ثم انتقل إلى الشمس، وهي أعظم مما كانوا يرونه، فلما أفلت أراد أن يبرهن لهم بالتدرج أن أعظم المخلوقات تزول، ثم أعلنها صريحة مدوية بعقيدة التوحيد، فقال: (يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٧٨﴾ إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ).

إن أسلوب التدرج مع المدعوين في الحوار، الذي أسسه أبو الأنبياء سيدنا إبراهيم، نقله إلينا سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم في كثير من المواقف.

ومن ذلك ما جاء في صحيح البخاري في وصيته لمعاذ بن جبل رضي الله عنه عندما بعثه إلى اليمن داعية ومعلماً، حيث ركز على انتهاج أسلوب التدرج في الدعوة، فقال: «إنك ستأتي قوماً أهل كتاب، فإذا جئتهم: فادعهم إلى أن يشهدوا أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، فإن هم أطاعوا لك بذلك، فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة، فإن هم أطاعوا لك بذلك، فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم، فإن هم أطاعوا لك بذلك، فإياك وكرائم أموالهم، واتق دعوة المظلوم؛ فإنه ليس بينها وبين الله حجاب».

ونسأل الله أن يوفق كل مخلص في تبليغ دعوة الله إلى العالمين، وأن يلهمنا الصدق، والإخلاص، والعلم، والحكمة، والعمل.

سارعوا في الخيرات.. والسابقون السابقون

خالد الملا
مستشار جمعية الرحمة العالمية

حياتنا في هذه الدنيا ميدان سباق؛ فإما أن نلهث وراء متاع الدنيا، وإما أن نتسابق إلى الآخرة، وبالآخرة ننال حظ الدنيا والآخرة، تأمل قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُوراً﴾ (الإسراء: ١٩).

واعلم أن تنافسك للخير يعود عليك؛ فكما قيل: «من جبر جُبر، ومن ستر سُتر، ومن أكرم أُكرم، ومن أعان أُعين»، وقد قال صلى الله عيه وسلم: «والله في عَونِ العَبدِ ما كان العَبدُ في عَونِ أخيه» (صحيح مسلم)، فاللهم اجبرنا واسترنا وأكرمنا وأعنّا.

فقد قيل: «لا يَرفعُ سِعْرَ الخُيُول إلّا السّباق، ولا يَرفعُ قَدْرَ الرِّجَالِ إلّا المواقف»، وتَرَقَّب الأجر من خالقك بسباقك؛ ﴿إِنَّ اللّهَ لاَ يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْراً عَظِيماً﴾ (النساء: ٤٠)، سبحانه ما أعدله وأكرمه.

وانتبه يا أخي لحديث النبي صلى الله عليه وسلم فقد قال: «بادروا بالأعمال فِتَناً كَقِطَعِ اللَّيلِ المُظلِم، يُصبِحُ الرَّجُلُ مُؤمِناً ويُمسي كافِراً، أو يُمسِي مُؤمِناً ويُصبِحُ كافِراً، يَبيعُ دينَه بعَرَضٍ مِنَ الدُّنيا» (صحيح مسلم).

نعم، فلنبادر ولنسارع فنحن من نحتاج، تأمل بقول الفضيل بن عياض يرحمه الله: «أما علمتم أن حاجة الناس إليكم نعمة من الله عليكم؟» (شعب الإيمان)، واعلم أنه بعملك الخير والسبق للخير ستكون محبوباً في الدنيا فهنيئاً لمحبوب الصالحين! فكما ذكر ابن تيمية: «إن الله يحب بعض عباده، ويحب كذلك من يحبونه»، وحكى عن أبي يزيد قوله: «إن الله لينظر إلى رجال في قلوب رجال»؛ فاللهم حبِّبنا إلى عبادك الصالحين، واجعلنا من رفقائهم بالجنة يا الله.

ومن التسابق للأعمال الصالحة، ما قاله أبو ذر الغفاري رضي الله عنه: «أَوْصاني حِبِّي بخَمس: أرحَمُ المساكينَ وأجالِسُهم، وأنظُرُ إلى مَن هو تحتي، ولا أنظُرُ إلى مَن هو فوقي، وأنْ أصِلَ الرحِمَ وإنْ أدبَرَتْ، وأنْ أقولَ بالحقِّ وإنْ كان مُراً، وأنْ أقولَ: لا حَولَ ولا قُوَّةَ إلَّا باللّه» (أخرجه أحمد، وصححه الأرناؤوط)؛ نعم لنسارع ولنبادر، مع إخلاص النية لله تعالى؛ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تُبْطِلُواْ صَدَقَاتِكُم بِالْمَنِّ وَالأذَى﴾ (البقرة: ٢٦٤)؛ فإن غرست شجرة الخير والعطاء؛ فلا تحرقها بعاصفة المَنِّ والأذى، فاللهم اجعل أعمالنا خالصة لوجهك الكريم.

كان النبي صلى الله عليه وسلم مثالاً أعلى في المسارعة إلى الخيرات، فعن أبي سروعة عقبة بن الحارث، قال: صَلَّيتُ وراءَ النَّبيِّ صلَّى اللَّه عليه وسلَّم بالمَدينةِ العَصرَ، فسَلَّمَ، ثُمَّ قامَ مُسرِعاً، فتَخَطَّى رِقابَ النَّاسِ إلى بَعضِ حُجَرِ نِسائِه، ففَزِعَ النَّاسُ من سُرعَتِه، فخَرَجَ عليهم، فرَأى أنَّهم عَجِبوا من سُرعَتِه، فقال: «ذَكَرتُ شيئًا من تِبرٍ عِندَنا، فكَرِهتُ أن يَحبِسَني، فأمَرتُ بقِسمَتِه» (صحيح البخاري).■

سرٌّ من أســـــرار الدعـــاء

عبدالعزيز القحطاني
كاتب كويتي

كثيراً ما يتساءل الإنسان: لماذا يُستجاب دعاء بعض الناس دون بعض، مع أنهم يدعون بنفس الألفاظ وفي نفس الأوقات؟

والجواب يكشفه لنا ابن قيّم الجوزية في كتابه «الداء والدواء» بعبارة بالغة الدقة، يقول يرحمه الله: «كثيراً ما نجد أدعية دعا قومٌ فاستُجيب لهم، ويكون قد اقترن بالدعاء ضرورة صاحبه وإقباله على الله، أو حسنة تقدّمت منه جعل الله سبحانه إجابة دعوته شكراً لحسنها، أو صادفت وقت إجابة، فأُجيبت دعوته، فيظن الظانّ أن السر في لفظ الدعاء، فيأخذه مجرّداً عن تلك الأمور التي قارنته من ذلك الداعي، وهذا كما إذا استعمل رجلٌ دواءً نافعاً في الوقت الذي ينبغي على الوجه الذي ينبغي فانتفع به، فظنّ غيره أن استعمال الدواء بمجرّده كاف لحصول المطلوب، فإنه يكون بذلك غالطاً، وهذا موضع يغلط فيه كثير من الناس، ومن هذا قد يتّفق دعاؤه باضطرار عند قبر فيُجاب، فيظن الجاهل أن السرّ للقبر، ولم يعلم أن السر للاضطرار وصدق اللجوء إلى الله تعالى، ولو حصل ذلك في بيت من بيوت الله كان أفضل وأحبّ إلى الله».

ما أشار إليه ابن القيم جوهر يغفل عنه كثيرون: السببُ الأعظم في إجابة الدعاء ليس الصيغة ولا اللفظ، بل الافتقار الصادق والانكسار الحقيقي بين يدي الله.

غير أن هذا لا يعني إهمال الأسباب المعينة التي تُهيئ القلب لهذا الصدق وتُعينه عليه، كاختيار الأوقات الفاضلة من ثُلُث أخير وما بين الأذان والإقامة وغيرها، والتأدب في الدعاء من حمد لله والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم، لكنّ هذه الأسباب وسائل مُعينة، وليست «أسراراً» تعمل وحدها بمعزل عن حال القلب.

والفرق دقيق لكنّه بالغ الأثر؛ مَن يطلب الأوقات الفاضلة لأنها تُعينه على حضور القلب والانكسار؛ سيجد ثمرتها، ومن يطلبها وكأنها «المفتاح السحري» للإجابة؛ فقد وقع في نفس الغلط الذي حذّر منه ابن قيم، فاجعل همّك الأول أن يكون قلبك حاضراً مُفتقراً، وما سوى ذلك فهو عَوْنٌ على بلوغ هذا الحضور.■

وهْم الأسبقية الحضارية!

د. عبدالله عصام العبيد

أستاذ مساعد للتاريخ بكلية الآداب- جامعة الكويت

في السنوات الأخيرة، نشهد ظهوراً ونزوعاً نحو نوع من الكتابات أو المقاطع المرئية التي تحاول البرهنة على أسبقية المسلمين في اختراع واكتشاف كثير من الآلات والأفكار والأمور العلمية إبان ازدهار وقوة الحضارة الإسلامية، ولقد بذل بعضهم جهوداً ملحوظة في تقميش الكتب والمخطوطات والمصادر لإثبات هذا الأمر.

وساعد على انتشار هذه الظاهرة وولوع كثير من الناس بها عاملان مساعدان؛ الأول: ترجمة كتابات غربية واستشراقية تنصف الحضارة الإسلامية وتبدي إعجابها بها، على سبيل المثال لا الحصر، كتاب «حضارة العرب» لغوستاف لوبون، و«شمس العرب تسطع على الغرب» لزيغريد هونكه، و«الجذور الشرقية للحضارة الغربية» لجون هوبسون.. وغيرها.

الثاني: ظهور منصات التواصل الاجتماعي التي تسهل الوصول للمعلومة بطريقة مختصرة وسلسة ومشوقة لجميع الناس، بل وإعطاء الفرصة للجميع ليدلوا بدلوهم في هذا الأمر، فقرأنا وسمعنا عن أسبقية المسلمين في اختراع الصاروخ، أو اكتشاف قارة أمريكا الشمالية أو الجنوبية، أو اختراعهم للغواصة البحرية، وغيرها من المعلومات المنتشرة في منصات التواصل والإعلام المرئي الجديد.

ذكرتني ظاهرة التسابق نحو التدليل على أسبقية المسلمين في المجالات الحضارية المختلفة بمقال للأستاذ الأديب عبدالله الهدلق في كتابه «ميراث الصمت والملوك»، تحدث فيها عن بعض الكتَّاب الذين زعموا أن المسلمين في غابر الأزمان نجحوا في اختراع طريقة كتابة للعميان والمكفوفين، وهذا يدل بزعمهم على تفوق الحضارة الإسلامية على الحضارة الغربية وسبقها في كثير من المجالات وبالأخص العلمية والتقنية.

ويصف الهدلق هذا النوع من الكتابات التاريخية (غير الدقيقة تاريخياً) بأنها تعبر عن «نقص حضاري يطل من خلل كتاباته، نقص أملاه عليه تاريخ مشرق لأمة عظيمة، كانت في يوم من الأيام ملء التاريخ ثم أضحت على هامشه».

وها هنا وقفة موجزة وصريحة للتنبيه على ما أسميه «وهْم الأسبقية الحضارية»، هو وهْم؛ لأن كثيراً من هذه الدعاوى والمعلومات غير صحيحة أو غير دقيقة، مع التسليم بسلامة نيات أصحابها، حيث إن وهْم الأسبقية الحضارية يكشف عن خللين:

الأول: معرفي اجتماعي مرده إلى الحالة الراهنة التي يعيشها المسلمون في مشارق الأرض ومغاربها من تكالب الأمم عليهم وتراجع دورهم الحضاري وانتقالهم من طورهم الإنتاج والإبداع إلى طور الاستهلاك والاتباع، هذه الحالة جعلتهم يهربون من الواقع الذي يعيشون فيه إلى التاريخ أو الماضي، فإما يسجنون أنفسهم فيه أو يستحضرون هذا التاريخ -سواء كان صحيحاً وحقيقياً أو وهْماً متخيلاً- إلى واقعهم المعاصر ليكون لهم سلاحاً أو علاجًا معرفياً.

وهذا الخلل أشار إليه المفكر الجزائري مالك بن نبي رحمه الله في مقالة مطولة ومهمة عنوانها «إنتاج المستشرقين وأثره في الفكر الإسلامي الحديث»، إلى أن الصدمة الحضارية - سقوط الحضارة الإسلامية وتفوق الحضارة الغربية- سببت شللاً في الحصانة الفكرية عند بعض المثقفين المسلمين؛ ولّد عندهم شعوراً بالنقص الحضاري، وأيضاً محاولة للتغلب على هذا النقص بوسائل «تافهة»، بحسب وصفه، «إننا عندما نتحدث إلى فقير لا يجد ما يسد به الرمق في يومه عن الثروة الطائلة التي كانت لآبائه وأجداده، إنما نأتيهم بنصيب من التسلية عن متاعبه بوسيلة مخدر يعزل فكره مؤقتاً وضميره عن الشعور بها، إننا قطعا لا نشفيها»!

الخلل الآخر خلل منهجي متعلق بالمقارنة التاريخية بين الحضارات، فالملاحظ أننا غالباً عندما نحاول أن نثبت أسبقيتنا الحضارية، فإننا نقارن أنفسنا بأوروبا والغرب فقط، وكأن العالم المعمور أو الحضارات الإنسانية لا يتجاوز حدود حضارتين أو عالمين؛ الإسلامي والغربي، وننسى أن هناك حضارات لا تقل أهمية ومكانة عن الحضارة الأوروبية والغربية، وأبرز هذه الحضارات الصينية التي امتدت أكثر من ألفي عام، وكانت لها إسهامات حضارية مهمة استفاد منها المسلمون أنفسهم، مثل: صناعة الورق، والطباعة، والبارود، والبوصلة، في المقابل، استفاد الصينيون من الحضارة الإسلامية واستوردوا بعض الأفكار والكتابات والمنتجات منهم، وهذا يدل على وجود تفاعل وتواصل حضاري بين الحضارة الصينية والإسلامية، كان له أثر على الحضارتين معاً.

ما أود قوله: إننا إذا أردنا عمل مقارنة فعلينا عمل مقارنة شاملة وصحيحة؛ على مستوى الفترة الزمانية والناحية المكانية والعناصر الحضارية، حتى نتبين صحة دعاوى الأسبقية الحضارية.

لا يعني هذ التقليل من أو إنكار إسهامات الحضارة الإسلامية وأثرها على الحضارات والثقافات الأخرى وخاصة أوروبا، فهذا ظلم للتاريخ نفسه، ومعالجة خطأ بخطأ آخر، إنما علينا التحلي بالتفكير التاريخي السليم والناقد والواعي الذي يهدف أولاً إلى التحقق من المعلومة ثم تفسيرها وفهمها فهماً سليماً بربطها بسياقها وتاريخها، وأخيراً التفكر بملاءمتها لواقعنا وحالنا وكيفية توظيفها بطريقة فعالة ونافعة.

هذا التفكير التاريخي هو «فقه التاريخ» الذي نحتاج إلى تعزيزه في مجتمعاتنا، وعناصره العلم، والفهم، والإنصاف، والثقة، حيث إن الموازنة بين التاريخ والواقع أو الماضي والحاضر صمام أمان معرفي لنا ولتاريخنا حتى لا يكون التاريخ عبئاً علينا نغرق فيه أو نحاول التخلص منه. ■

المواقف.. بين ميزان الشرع وضغط الجماهير

د. محمد عبدالله المطر
باحث في الفكر الإسلامي

في زمن الأخبار العاجلة ومنصات التواصل، أصبحت بعض الأحكام والمواقف تُبنى تحت تأثير صورة مؤلمة، أو مقطع مبتور، أو خطاب حماسي، قبل التثبت من الوقائع والرجوع إلى العلماء والمتخصصين، ولا إشكال في أن يتألم الإنسان للمظلوم أو يغضب من العدوان، فالعاطفة جزء من الفطرة، وإنما الخطأ أن تتحول من دافع لنصرة الحق إلى بديل عن الدليل والعدل.

الأصل أن تُرد الأحكام إلى الشرع، قال تعالى: ﴿فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ﴾ (النساء: ٥٩)، وقال سبحانه: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (الجاثية: ١٨)، والهوى قد يكون فردياً، وقد يكون جماهيرياً يضغط على الإنسان ليقول ما يرضي الناس، لا ما يعتقد أنه الحق، وقد وضع القرآن منهجاً للتعامل مع أخبار الأمن والخوف، فقال تعالى: ﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَىٰ أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ﴾ (النساء: ٨٣).

فليس كل خبر صالحاً للنشر أو لبناء موقف، بل يجب التثبت ورد القضايا الكبرى إلى أهل العلم والاستنباط، قال تعالى: ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ (النحل: ٤٣)، والقضايا المعاصرة تحتاج إلى تكامل التخصصات؛ فالطبيب يصور المسألة الطبية، والاقتصادي يبين آثار القرار، والقانوني يشرح الأنظمة، والخبير السياسي يقدر موازين القوى، ثم ينظر الفقيه في الحكم الشرعي وتنزيله على الواقع، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم في الخبرة الفنية: «أنتُم أعلَمُ بأمرِ دُنياكُم» (رواه مسلم).

ومن أهم موازين الشرع العدل مع الموافق والمخالف، قال تعالى: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ (المائدة: ٨)، فلا يجوز تبرير الخطأ لأنه صدر من القريب، أو تضخيمه لأنه صدر من الخصم، ولا تعميم خطأ فرد على جماعة أو شعب، كذلك لا بد من النظر في عواقب المواقف، قال الشاطبي: «النظر في مآلات الأفعال معتبر مقصود شرعاً»، وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: «فالواجبات والمستحبات لا بد أن تكون المصلحة فيها راجحة على المفسدة»؛ لأن إنكار المنكر إذا أدى إلى منكر أعظم لم يكن إصلاحًا شرعياً.

ومن أمثلة ذلك «صلح الحديبية»، فقد بدت بعض شروطه شديدة على المسلمين، حتى قال عمر رضي الله عنه: «فعلام نعطي الدنية في ديننا؟»، لكن الصلح أصبح فتحاً عظيماً، وكذلك ترك النبي صلى الله عليه وسلم إعادة بناء الكعبة على قواعد إبراهيم، وقال: «لَولا أنَّ قَومَكِ حَديثو عَهدٍ بشِركٍ لَهَدَمتُ الكَعبةَ» (صحيح مسلم)، مراعاة لاستقرار إيمان الناس.

ورفض صلى الله عليه وسلم قتل عبدالله بن أبي، قائلًا: «لا يتحدثُ الناسُ أنَّ مُحَمَّداً يقتلُ أصحابَه» (رواه البخاري)، نظراً إلى أثر الفعل في صورة الدعوة، كما أنكر على معاذ إطالة الصلاة بالناس، وقال: «يا مُعاذُ، أفَتَّانٌ أنتَ؟!» (ثلاثاً) (رواه البخاري)، مراعاة للضعيف وصاحب الحاجة.

فالمنهج الشرعي لا يلغي العاطفة، وإنما يضبطها بالعلم، والتثبت، والعدل، وفقه الواقع، والموازنة بين المصالح والمفاسد، وخاصة أن بعض المواقف يفعلها بعض المنتقدين أو صمتوا عنها إن تعارضت مع مصالحهم أو فعلها من أحبوه وتبعوه، لذلك فالفرق بين المواقف التأصيلية والشعبوية المطلقة، أما الشعبوية فتسأل: ماذا يريد الجمهور أن يسمع؟ والمنهج الشرعي يسأل: ما الحق؟ وما الذي يرضي الله؟ وما الطريق الأعدل والأحكم لتحقيق المصلحة وتقليل الضرر؟ ■

اجترار المـــــ

د. عمر سالم المطوع
أكاديمـــي كويتـــي

نعيش بطبيعتنا كبشر بين مسارات الزمن الثلاثة؛ الماضي، والحاضر، والمستقبل، غير أن بعض الأفراد والجماعات والمؤسسات يقبعون فيما يعرف بـ«اجترار الماضي»، وهي حالة مستمرة ولا إرادية من استدعاء أحداث الماضي واستحضارها على الدوام، فيتحول الماضي حينئذ إلى سجن نفسي وتاريخي يعوق التقدم ويشل الحركة، بدلاً من أن يكون مدرسة نستخلص منها العبر، ونهذب بها سلوكنا الحاضر، ونستضيء بها في استشراف المستقبل.

إن اجترار الماضي لا يقتصر على الأفراد، بل يتجاوزهم ليصبح ظاهرة تصيب المؤسسات والمجتمعات والأمم، ومن أراد أن يقف على مقدار الترهل الذي أصاب مؤسسة ما، فليراقب خطابها وما يكتنفه من استغراق في الماضي وتكرار لوقائعه.. فتراها، ومن يعملون فيها، يعيشون داخل سردية مكرورة لا تقدم حلًا لمشكلات الواقع، ولا تفتح أفقًا للمستقبل.

إن هذا الاجترار على مستوى المؤسسات يفضي إلى حالة من التيبس والجمود الفكري، حتى تغدو العقول

ـــــــاضي!

عاجزة عن قراءة الحاضر إلا من خلال عدسة الماضي، فإذا أخفقت في إدارة واقعها، سارعت إلى استدعاء النماذج والأمثلة التاريخية لتبرير إخفاقها وتسويغ عجزها، وتكمن خطورة اجترار الماضي في أنه يتحول إلى عائق يحول دون التطور، فيغدو التاريخ عبئًا يثقل كاهل المؤسسة بدل أن يكون رصيدًا يعينها على النهوض.

ويكثر هذا النمط في «المؤسسات الكسولة» التي تكتفي بترديد أمجاد الأمس بدل صناعة إنجازات اليوم والتخطيط لمكاسب الغد، فيتحول التاريخ إلى متراس تتخفى خلفه للحفاظ على النفوذ والمصالح ومواقع السيطرة.

ويتفاوت الأفراد والمؤسسات في تعاملهم مع الماضي؛ ففريق يدعو إلى القطيعة التامة معه بحجة ما يحمله من مظاهر التخلف، وهو تصور يفتقر إلى الحكمة والواقعية، وفريق آخر يحيطه بهالة من القداسة المطلقة تجعله فوق النقد والمراجعة، وبين هذين الاتجاهين يقف فريق أكثر اتزانًا، ينظر إلى الماضي بعين الاعتبار لا الافتتان، ويميز بين التاريخ البشري والتشريع الديني، ويوظف رصيد التاريخ في ترسيخ الهوية وبناء الوعي واستشراف المستقبل.

يمثل اجترار الماضي تحدياً خطيراً يمس صميم السلوك الإنساني والمؤسسي، ونحن أمام خيارين لا ثالث لهما؛ إما أن نتعامل مع الماضي بوصفه خبرة حية ومتجددة نستفيد منها في فهم واقعنا وصناعة مستقبلنا، وإما أن نسقط في فخ اجتراره على نحو جامد ومتكلس ومدمر، فنبقى أسرى قوالب بالية، ندور في حلقة مفرغة، ونتراجع إلى مؤخرة الركب، حيث تخبو الآمال وتتبدد الطموحات. ■

حين تتحول الكرة إلى قضية.. والقضايا إلى هامش!

د. سعيد النومس

أستاذ مشارك بكلية التربية ـ الكويت

تتداول منصات التواصل عبارة منسوبة إلى الشيخ محمد الغزالي يرحمه الله، نصها: «إني لا أعتب على اللاعبين إذا ركضوا خلف الكرة، ولا أعتب على الجماهير إذا صفقوا وهتفوا، ولكني أعتب لبلاد تخسر معركة الحضارة، ثم تذرف الدموع بغزارة لأنها خسرت مباراة في كرة القدم!»، وبصرف النظر عن صحة نسبة العبارة إلى الشيخ محمد الغزالي، فإنها تطرح سؤالاً حضارياً عميقاً يستحق التأمل، بعيداً عن الانفعال أو التوظيف العاطفي.

من الخطأ أن تُفهم العبارة على أنها دعوة لمحاربة الرياضة أو التقليل من شأنها، فالرياضة نشاط إنساني مشروع، بل وسيلة مهمة لبناء الصحة والانضباط والعمل الجماعي، وقد أصبحت صناعة اقتصادية وثقافية عالمية تسهم في التنمية، وتوفر فرص العمل، وتعزز القوة الناعمة للدول، ولذلك، فإن اختزال القضية في «الكرة» يبتعد عن جوهر الرسالة، القضية الحقيقية هي اختلال سلم الأولويات.

ولكن متى تصبح الرياضة مشكلة؟ في الحقيقة لا تصبح الرياضة مشكلة لأنها رياضة، وإنما عندما تتحول إلى بديل عن الإنتاج، وتعويض نفسي عن الإنجاز الحقيقي، وأداة للهروب من مشكلات التعليم والاقتصاد والبحث العلمي، ومصدر للاستقطاب والانقسام المجتمعي، فعندما ينشغل المجتمع أياماً بخسارة مباراة، بينما تمر قضايا التعليم، والبطالة، والبحث العلمي، والأمن الفكري، والفساد، والتنمية دون اهتمام مماثل، فإن الخلل ليس في الرياضة، بل في ترتيب الاهتمامات.

الأمم تُقاس بما تنتجه من علم، وتقنية، واقتصاد، ومؤسسات قوية، وعدالة، وإنسان متعلم، وقدرة على الابتكار، أما البطولات الرياضية فهي مؤشر نجاح في قطاع واحد، وليست معياراً شاملاً لنهضة الأمم؛ ولهذا، نجد دولاً تحقق أعظم الإنجازات العلمية دون أن تكون قوة كروية، كما نجد دولاً تملك تاريخاً كروياً كبيراً لكنها تعاني أزمات اقتصادية أو سياسية، فالربط بين التفوق الرياضي والتقدم الحضاري ربط غير دقيق.

وليس بالضرورة، بل إن الدول المتقدمة تمنح الرياضة اهتماماً كبيراً، لكنها تضعها ضمن منظومة متوازنة تشمل التعليم، والبحث العلمي، والصناعة، والصحة، والثقافة، والاقتصاد، والرياضة؛ أي أن الرياضة تأتي نتيجة لدولة ناجحة، لا بديلاً عن نجاحها.

ومن المنظور الدعوي، فالداعية لا يعادي اهتمامات الناس المباحة، بل يوجهها ويضبطها، وقد راعت الشريعة حاجات الإنسان إلى الترويح، لكنها في الوقت نفسه قررت قاعدة عظيمة: ﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا﴾ (القصص: ٧٧)، فالمنهج الإسلامي يقوم على التوازن، لا على إلغاء جانب لصالح آخر؛ ولهذا، فإن الخطاب الدعوي الأكثر تأثيراً ليس الذي يهاجم الرياضة، وإنما الذي يدعو إلى أن يكون حب الوطن عملاً لا شعوراً فقط، وأن يكون التشجيع الرياضي في حجمه الطبيعي.

الرياضة ليست خصماً للحضارة، بل يمكن أن تكون إحدى ثمارها، أما الخطر الحقيقي فيكمن عندما يختل ميزان الأولويات، فيعلو الاهتمام بما يحقق المتعة اللحظية على ما يصنع مستقبل الأوطان، فالأمة التي تفرح بانتصار فريقها الرياضي، ثم تفرح أيضاً بافتتاح جامعة، أو إنجاز علمي، أو اكتشاف طبي، أو مشروع تنموي، أمة تسير في طريق التوازن، أما الأمة التي لا تتحرك مشاعرها إلا في المدرجات، بينما تبقى صامتة أمام تحديات التعليم والاقتصاد والهوية والقيم، فهنا تبدأ معركة الحضارة الحقيقية. ■

في بودكاست مع عضو مركز الكويت للاقتصاد الإسلامي..

د. عبدالله العبدالمنعم: العالم على شفا أزمة مالية.. والكويت في حصن نقدي متين

إعداد- سيف الدين باكير:

يواجه النظام الاقتصادي العالمي تحولات هيكلية عميقة تنذر بصدامات كبرى بين القوى الاقتصادية العظمى، وفي هذا السياق أطلق الباحث في الاقتصاد الإسلامي، عضو مركز الكويت للاقتصاد الإسلامي، د. عبدالله العبدالمنعم، خلال حوار له عبر بودكاست «كاتب وكتاب» تحذيرات حيال أزمة اقتصادية ومالية عالمية كبرى تلوح في الأفق.

ووفقاً لتقديراته المبنية على دراسة مؤشرات العرض النقدي وحجم الديون المتراكمة، فإن العالم يعيش حالياً حالة غير طبيعية أشبه ببالون يوشك على الانفجار، متوقعاً أن تقع هذه الأزمة خلال فترة زمنية تتراوح بين عام إلى ٥ أعوام على أبعد تقدير.

الجذور التاريخية للهيمنة النقدية وانفصال النقد عن الذهب:

لتفكيك المشهد الاقتصادي الحالي المعقد، عاد د. العبدالمنعم إلى الجذور التاريخية للنظام النقدي العالمي، وتحديداً إلى ما بعد الحرب العالمية الثانية.

وأوضح الباحث أن الدمار الذي لحق بأوروبا دفع الولايات المتحدة الأمريكية، التي خرجت منتصرة واقتصادها سليم، إلى قيادة مؤتمر «بريتون وودز»، وفي ذلك المؤتمر، تم رفض المقترح البريطاني الذي قدمه العالم الاقتصادي جون كينز لإنشاء عملة عالمية محايدة تسمى «بانكور»، وتم بالمقابل فرض الدولار الأمريكي كعملة للاحتياطي العالمي، على أن يكون مربوطاً بالذهب، بحيث تلتزم أمريكا بصرف الدولار مقابل الذهب لأي دولة تطلب ذلك.

هذا النظام، كما يروي العبدالمنعم، منح الدولار قوة استثنائية، لكنه لم يدم طويلاً، فمع تورط الولايات المتحدة في حرب فيتنام وزيادة إنفاقها، بدأت بطباعة دولارات تفوق الغطاء الذهبي الفعلي لديها، وعندما طالبت دول مثل فرنسا وبريطانيا باستبدال الذهب بدولاراتها، اتخذ الرئيس الأمريكي ريتشارد نيكسون في عام ١٩٧١م قراره الشهير بفك ارتباط الدولار بالذهب.

ولإنقاذ العملة الأمريكية من الانهيار، لجأت الإدارة الأمريكية عبر وزير خارجيتها آنذاك هنري كيسنجر إلى إستراتيجية جديدة تمثلت في ربط تسعير البترول الخليجي بالدولار حصراً، وهو ما عُرف بنظام «البترودولار»؛ ما أجبر العالم على الاستمرار في طلب الدولار للحصول على الطاقة.

فقاعة الديون العالمية.. وانفصال القطاع المالي عن الحقيقي:

وبالعودة إلى الزمن الحاضر، يرى العبدالمنعم أن جوهر الأزمة المرتقبة يكمن في التضخم المرعب لحجم الدين العالمي الذي بات يتجاوز ٣٠٠ تريليون دولار، وهو رقم يفوق بكثير حجم الاقتصاد العالمي الفعلي، مؤكداً أن الخلل البنيوي يتمثل في انقلاب المعايير الاقتصادية السليمة؛ فالأصل في الاقتصاد أن يخدم القطاع المالي القطاع الحقيقي المتمثل في السلع والخدمات والإنتاج، إلا أن الواقع الحالي يشير إلى أن القطاع المالي بات هو المتحكم الأول، وبات يعتمد كلياً على تدوير الديون المتراكمة والربا؛ ما خلق فجوة

هائلة بين المعروض النقدي وحجم السلع.

ولتبسيط هذه الكارثة الاقتصادية، ضرب العبدالمنعم مثلاً واقعياً بشخص يبلغ مدخوله الشهري ١٥٠٠ دينار كويتي، بينما تتزايد عليه الأقساط بشكل يفوق هذا المدخول؛ ما يدفعه إلى الاقتراض المتكرر لسداد الديون القديمة، هذه الحالة من «تسكير الديون بديون جديدة» هي بالضبط ما تفعله الدول اليوم، وهي حلقة مفرغة لا بد أن تنتهي بالإفلاس الكامل عندما تعجز الكيانات عن الاستدانة مجدداً.

حرب العملات والذهب.. التحركات الصينية مقابل الإستراتيجية الأمريكية:

في سياق استشرافه لهذا الانهيار الكبير، لفت د. العبدالمنعم إلى التحركات الإستراتيجية الصامتة والذكية التي تتخذها القوى العظمى استعداداً لساعة الصفر، فقد أشار إلى أن الصين، التي تسير بخطى حثيثة لتصبح الاقتصاد الأول في العالم، تعمل حالياً على وتيرة سريعة لجمع الذهب وتكديسه كأصول صلبة ضمن ميزانية بنكها المركزي.

وتهدف هذه الخطوة إلى تعزيز قوة اقتصادها لتكون الملاذ الآمن عند انهيار النظام النقدي الحالي، وذلك تمهيداً لفرض عملتها «اليوان الرقمي» كعملة احتياط عالمية بديلة عن الدولار.

في المقابل، أوضح أن الولايات المتحدة الأمريكية لن تقف مكتوفة الأيدي ولن تسلم قيادة النظام المالي العالمي للصين بسهولة، وتوقع الباحث أن تلجأ أمريكا إلى حلول جذرية لحماية الدولار عند وقوع الأزمة، من بينها احتمالية تكرار سيناريو «بريتون وودز» بشكل جديد، وذلك من خلال إعادة تسعير الذهب عالمياً بقيمة أعلى بكثير مما هو عليه الآن، هذه الخطوة ستسمح للولايات المتحدة بتغطية جزء كبير من الدولارات المطبوعة عبر رفع قيمة الغطاء الذهبي الذي تملكه؛ ما يعيد شيئاً من الثقة لعملتها.

العملات المشفرة كمصيدة للتضخم النقدي:

وفيما يخص العملات المشفرة والافتراضية، قدم العبدالمنعم تحليلاً مغايراً ومثيراً للاهتمام، حيث اعتبر أن التوجه الأمريكي الأخير لتشجيع تداول هذه العملات، الذي تجلى في تصريحات سياسية أمريكية سابقة بجعل الولايات المتحدة مركزاً للعملات المشفرة، يمثل خطوة تكتيكية بحتة، ووصف الباحث هذه العملات بأنها أداة أو مجرى حيوي لسحب السيولة النقدية الفائضة من الأسواق، فمع طباعة الكاش بشكل مهول، يتم توجيه مليارات الدولارات نحو سوق العملات الافتراضية؛ ما يمتص جزءاً من التضخم ويخفف الضغط عن النظام المالي التقليدي وأسعار السلع الحقيقية.

وأكد العبدالمنعم، من منظور الاقتصاد الإسلامي والأسس النقدية، أن عملات مثل بتكوين لا يمكن اعتبارها نقوداً حقيقية، فالنقود تستوجب أن تُصدر من سلطة سيادية تضمنها، وأن تتسم بالاستقرار النسبي لحفظ حقوق المتعاملين بها، بالإضافة إلى وجوب الاعتراف العرفي والقانوني بها كأداة للتبادل التجاري وتسوية المدفوعات، وهي شروط تنتفي تماماً في العملات الافتراضية شديدة التذبذب التي لا تخضع لأي سلطة مركزية.

التجربة الكويتية.. حصانة نقدية وسياسة اقتصادية حصيفة:

وعلى النقيض من حالة القلق العالمي، انتقل د. العبدالمنعم للحديث عن الوضع الاقتصادي في دولة الكويت، مؤكداً أن الدينار الكويتي يتربع على عرش أقوى العملات في العالم، وأرجع هذا الاستقرار إلى متانة الاقتصاد المحلي، بالإضافة إلى السياسة النقدية الحصيفة والذكية التي ينتهجها بنك الكويت المركزي.

وأوضح الباحث أن السر وراء استقرار الدينار وقوته يكمن في سياسة «سلة العملات»، فبدلاً من ربط العملة المحلية بالدولار الأمريكي فقط، ترتبط العملة الكويتية بسلة من العملات العالمية التي تعكس حجم التبادل التجاري لدولة الكويت، مشيراً إلى أن الأوزان النسبية لهذه العملات داخل السلة تعتبر من الأسرار السيادية التي لا يعلمها أحد، والهدف من هذه السرية المطلقة هو منع المضاربين من استغلال هذه المعلومات للتأثير على قيمة العملة الوطنية؛ ما يوفر درعاً واقياً للاقتصاد المحلي ضد التقلبات الحادة التي تضرب الأسواق العالمية.

وفي سياق التحول نحو الاقتصاد الرقمي والمصارف الرقمية، أشاد العبدالمنعم بالسياسة الرزينة والمتحفظة لدولة الكويت مقارنة ببعض الدول التي تسرعت في هذا المجال، وأكد أن بنك الكويت المركزي يتعامل مع التراخيص الرقمية بتأنٍّ شديد؛ لأن الأمر يتعلق باقتصاد دولة ومقدراتها وليس بمجرد سباق تكنولوجي.

كما سلط الضوء على متانة الجهاز المصرفي الكويتي والثقة الكبيرة التي يوليها المتعاملون للبنوك، مشيراً إلى أن البنوك الكويتية تقوم بتجنيب مخصصات مالية ضخمة لمواجهة الاخطار، ورغم أن هذا الإجراء قد يقلص من أرباح رؤوس الأموال الفورية، فإنه يمثل صمام أمان لحماية الاقتصاد الوطني من أي هزات ارتدادية قد تنجم عن الانهيار المالي العالمي المرتقب.

ريادة عالمية في القطاع غير الربحي:

وتطرق العبدالمنعم إلى نقطة التميز الأبرز في التجربة الكويتية، والمتمثلة في القطاع غير الربحي، مؤكداً أن الكويت تتفوق عالمياً في هذا المجال دون منازع، واستشهد بالدور المحوري الذي تؤديه مؤسسات كويتية عريقة مثل الأمانة العامة للأوقاف، والهيئة العامة للقصر، والجمعيات الخيرية، وبيت الزكاة الكويتي.

وأوضح أن بيت الزكاة الكويتي يمثل المرجعية العالمية الأولى في النوازل والقضايا الفقهية المعاصرة المتعلقة بالزكاة؛ حيث إن الندوات والمؤتمرات التي ينظمها تُعد الأساس الصلب والأرضية التي يعتمد عليها «مجمع الفقه الإسلامي» في إصدار قراراته وتوصياته؛ ما يؤكد أن ما يصدر عن الكويت في هذا الشأن يُعد دستوراً شرعياً ومرجعاً معتمداً على مستوى العالم العربي والإسلامي.

كما أشاد بالدور التأسيسي للعم أحمد بزيع الياسين، الذي أرسى دعائم العمل المصرفي الإسلامي في الكويت، لتصبح البلاد رائدة في صناعة المالية الإسلامية والعمل الخيري المؤسسي. ■

لمشاهدة الحلقة كاملة

الأسباب الحقيقية للأزمة المالية العالمية المتوقعة.. نظرة إسلامية

د. علي شيخون
مستشار المحاسبة والمالية الإسلامية

حين تتحدث الأسواق عن أزمة قادمة تنشغل بسؤال أهي انكماش يجمّد الاقتصاد أم تضخم يلتهم القيمة؟ والحق أن هذه ثنائية أعراض لا أسباب؛ فالعالم يعيش الوجهين معاً؛ أسعار ترتفع لأسباب لا صلة لها بقوة الاقتصاد، ونشاط يتباطأ دون أن يهبط بالأسعار، وأدوات علاج صُممت لعالم تتعاكس فيه الظاهرتان لا تتزامنان، والأرجح أن القادم يجمعهما تسلسلاً؛ انفجار انكماشي في لحظته، وعلاج تضخمي في أعقابه، إذ لم يبق أمام حكومات أثقلتها الديون مخرج سوى الإفلاس المقنَّع بتسييل ديونها نقداً يفقد قيمته.

وهذا التأرجح هو طبيعة النظام ذاته، نظام يقوم على ضمان العائد للزمن المجرد فيتوسع بالدَّيْن حتى التضخم، ثم ينكمش فجأة (الانفجار)، ثم يعالج الانفجار بمزيد من الدَّيْن؛ لأن الوجهين ثمرة انفصال النقد عن الإنتاج والمال عن العمران، فما نواجهه ليس دورة اقتصادية تُعالج بأدوات الدورات، إنما أزمة قيم تسبق أزمة البنية، وأزمة بنية تسبق أزمة الأسعار، وهذا المقال محاولة للنزول من سطح الأعراض إلى جذر الأسباب ثم إلى السؤال الذي يعنينا قبل غيرنا.

كل اختلالات النظام المالي المعاصر تعود إلى قرار تأسيسي واحد؛ جعل المال يلد المال بمجرد مرور الوقت عائداً مضموناً لا يتحمل مخاطرة ولا يشارك في إنتاج، وهو قرار ينقض قاعدتين فقهيتين اقتصاديتين دقيقتين؛ «الخراج بالضمان» و«الغُنم بالغُرم»، لا عائد مشروعاً بلا مخاطرة ولا كسب بلا استعداد للخسارة.

فحين ضُمن العائد للزمن المجرد انحاز النظام كله إلى المديونية، صار الإقراض أربح من الإنتاج وأقل خطراً، وتحوّل الدَّيْن ذاته إلى سلعة تُورّق وتُتداول، حتى غدا أوثق أصول العالم -سندات الخزانة الأمريكية- عقدَ ربا صريحاً تقوم عليه تسعيرة كل شيء، وشاهده دَيْنٌ عالمي تجاوز ثلاثة أضعاف الناتج، وكلفة خدمة تلتهم موازنات أكبر الاقتصادات، فالنظام الذي وضع الربا في أساسه جعل انهيار الأساس مسألة وقت لا احتمال.

علاج الداء بالداء نفسه:

حين تكون العلة في ضمان عائد الزمن، يصبح سعر الفائدة أداة الإدارة الوحيدة، حيث تعالج البنوك المركزية الداء بمادته، ترفع الفائدة لكبح التضخم فتخنق الإنتاج وتفجّر كلفة الديون، وتخفضها لإنعاش النشاط فتطلق الأسعار وتغذي الاستدانة؛ وكل دورة علاج تورث دَيْناً أعلى من سابقتها حتى صار النظام أعجز من أن يحتمل فائدة مرتفعة تكسر ديونه، وأضعف من أن يحتمل فائدة منخفضة تشعل تضخمه.

وليس هذا سوء استخدام للأدوات، إنما هذا حدّها الطبيعي، لأن أدوات صُممت لتوجيه المال عبر تسعير الزمن لا تُصلح خللاً جوهره تسعير الزمن ذاته، والحل في تغيير مادة العلاج بربط خلق النقد وتوجيهه بالأصول والإنتاج عبر صيغ المشاركة في الغُنم والغُرم معماراً نقدياً كاملاً لا منتجات تجميلية.

تداول المخاطر مجردة عن الأصول:

إذا كان الربا قد فصل العائد عن المخاطرة، فقد أكملت المشتقات المالية الفصل من الجهة الأخرى، مخاطرة تقتطع من أصلها وتُصاغ عقداً قائماً بذاته يُباع ويُشترى وتتراكب فوقه العقود حتى بلغت القيمة الاسمية لهذه الأسواق أضعاف الناتج العالمي، فصار الرهان على الاقتصاد أضخم من الاقتصاد نفسه، والأخطر أن التراكم يجري في الظل بائتمان خاص وصناديق ووسطاء خارج الجهاز المصرفي المنظم، والأزمات تنفجر حيث تتراكم بصمت.

وهنا يتبين أن نهي الشريعة عن الغرر الفاحش وبيع ما لا يُملك وبيع الدّيْن بالدّيْن هندسة وقائية ضد هذا النمط بعينه؛ فالتشريع لم يحرّم المخاطرة فهي روح التجارة، وإنما حرّم انفصالها عن الأصول، فالمخاطرة الموصولة بأصل تحسبها السوق ويتحملها أطرافها، أما المجردة المتداولة فطبقاتُ مراهنة يجهل كل طرف موضعه منها، فإذا اهتز الأساس انهار الجميع دفعة واحدة.

انقلاب المال من وسيلة للعمران إلى غاية تلد ذاتها:

النقد في أصل وضعه وسيط ومعيار لا قيمة له في ذاته، وهي الحقيقة التي قررها الغزالي حين جعل النقدين «حجرين لا منفعة في أعيانهما، خُلقا ليحكما بين الأموال، ومن كنزهما أو اتّجر في أعيانهما فقد فقد ظلمهما وأبطل الحكمة فيهما».

والنظام المعاصر بلغ في نقض هذا الأصل مداه، صار المال يُطلب لذاته، وتحوّل الاستثمار من تمويل الإنتاج إلى مراكمة القيمة، شركات تعادل قيمتُها السوقية أرباح عقود قادمة، ومؤشرات عالمية يتركز وزنها في حفنة شركات تكنولوجيا، وأصول رقمية بلا أصل ولا إنتاج تُتداول بوصفها ثروة، هذا هو الاقتصاد الورقي المنتفخ فوق الاقتصاد الحقيقي، والفجوة بين السعر والقيمة، بين الورقة والعمران، هي بالضبط حجم الانفجار المؤجل، فالخلل خلل غاية لا وسيلة، وحين ينقلب المعيار سلعة يفقد الاقتصاد بوصلته قبل أن يفقد توازنه.

احتباس الثروة عن الدوران:

الثروة كالدم وظيفتها في جريانها؛ فإذا احتبست في عضو تورّم ومات الجسد، وهذا قانون قرآني منصوص: ﴿كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنكُمْ﴾ (الحشر: ٧)، جعله العلماء أصلاً لمقصد الرواج، وبُنيت لأجله منظومة تُجبر رأس المال على الدوران، زكاة تنقص المكنوز، وإرث يفتّت التركات، وتحريم للكنز والاحتكار.

لكن النموذج القائم صمّم قنواته على الضد، عوائد رأس المال تنمو أسرع من عوائد العمل، والريع المالي أربح من الإنتاج، فتصب الثروة في اتجاه واحد وتتحول في القمة من طاقة إنتاجية إلى قوة مضاربة، وشاهده طبقة وسطى تتآكل، ونموذج نموٍّ عوّض تآكل دخولها بإقراضها حتى بلغ الاستهلاك الممول بالدّيْن حدوده؛ فانسدّ الانتعاش من الداخل، لا الأغنياء يستهلكون بقدر تركّز ثروتهم، ولا الأكثرية تملك ما تستهلك به، وهكذا تعبر الأزمة حدود الاقتصاد إلى احتقان اجتماعي وسياسي يبحث عن شرارة.

وهناك أسباب أخرى تشدّ الأزمة وتسدّ مخارجها، عالم يتفكك من عولمة الكفاءة إلى تكتلات الخوف، وإعادة هيكلة سلاسل التوريد؛ وشيخوخة ديموغرافية في الاقتصادات الكبرى تُنقص المنتجين وتزيد المُعالين فتضغط على الدّيْن والأسعار معاً؛ وكلفة تحوّل طاقي ومناخي لا مفر من دفعها؛ وفوق ذلك كله تصدّع يدبّ في نظام العملة الاحتياطية الواحدة، فإذا اهتزت الثقة بالدولار اهتز الميزان الذي تُوزن به أموال العالم كلها ومعيار يختل بلغة الفقهاء مؤذن بفساد كل ما وُزن به.

الصاعق.. تحويل موارد الحياة المشتركة إلى سلاح احتكار وابتزاز:

هذه البنية الهشة كانت تنتظر صاعقاً

جاءها من أسواق الطاقة، مضيق هرمز الذي يعبره نحو خُمس نفط العالم وغازه المسال، تحوّل من ممر ملاحي إلى أداة تفاوض تُغلق وتُفتح بقرار سياسي، فوُلدت من تأرجحه «علاوة هرمز» زيادة شبه دائمة في سعر البرميل لا علاقة لها بالندرة.

والنظام الدولي يدير الطاقة بمنطق الغنيمة، فمن ملكها احتكرها، ومن حكم ممرها ساوم بها، بينما التصور الإسلامي يجعل موارد الحياة أمانة استخلاف، والناس فيها شركاء، كما قرر الحديث النبوي في الماء والكلأ والنار، والطاقة «نار» العصر بلا مجاز، محكومة بقاعدة «لا ضرر ولا ضرار»، فما تسميه لغة الأسواق مخاطرة جيوسياسية هو بالميزان الشرعي فساد في الأرض بمعناه الاقتصادي الدقيق، تعطيل المورد عن مقصده وتحويل عصب العمران إلى سلاح يدفع ثمنه الجميع والفقراء قبل الأغنياء.

أين نحن من أزمة نملك نموذج النجاة منها؟

اقتصاداتنا تدخل هذه الأزمة من موقع مزدوج الهشاشة، خليج يجني ريع الطاقة بيد وتتكشف أصوله السيادية على أسواق النظام المأزوم بالأخرى، ودول عربية مثقلة بالديون تقف في الصف الأول لموجة الفوائد وهروب رؤوس الأموال، والمفارقة الأشد أن الأمة التي تحمل في تشريعها الجواب البنيوي متمثلاً في الغُنم بالغُرم بدل الربا، والشفافية بدل الغرر، والرواج بدل الاحتباس اكتفت من نموذجها بقشرته، مالية إسلامية يقوم معظمها على التورّق والمحاكاة الشكلية لمنتجات النظام نفسه، فتستورد هشاشته وتضيف إليه كلفة الشكل!

إن الأزمة القادمة أزمة بنية وقبلها أزمة قيم، وحزم الإنقاذ ستطفئ الحريق كما أطفأت سوابقه بسكب مزيد من الوقود المؤجل، والسؤال الصعب لصناع القرار في الغرب: هل يملكون شجاعة تغيير النموذج لا ترميمه؟ والسؤال الأصعب موجه إلينا نحن: هل نملك الجدية لتقديم نموذجنا علماً اقتصادياً قابلاً للتطبيق وليس هوية تُستهلك في منتجات مقلّدة؟ فمن ملك الدواء وقت الوباء ثم اكتفى بوصفه شريك في الوفيات.■

التداعيات الاقتصادية لإغلاق أهم مضيق في العالم..

هل تعيد أزمة «هرمز» صياغة النظام الاقتصادي العالمي؟

تقرير- جمال خطاب:

أظهرت الحرب الأمريكية على إيران أن مضيق هرمز يعتبر الصمام الحيوي الأكثر حساسية في جسد الاقتصاد العالمي، وأن تهديد الملاحة في هذا الممر المائي قادر على دحرجة الاستقرار المالي والتجاري الدولي نحو حافة الركود الشامل.

وهكذا استيقظ العالم على تهديد الممر البحري الأهم عالمياً على الإطلاق لإمدادات الطاقة، الممر الذي يربط بين منتجي النفط والغاز في الخليج العربي والأسواق العالمية عبر خليج عمان وبحر العرب.

حجم التدفق النفطي والغازي:

يمر عبر المضيق نحو ٢٠,٥ مليون برميل يومياً من النفط الخام والمشتقات النفطية، وهو ما يمثل نحو ٢٠٪ من إمدادات السوائل النفطية العالمية، وأكثر من ٣٠% من إجمالي النفط المنقول بحراً.

ويعبُر المضيق ما يقارب ثلث صادرات الغاز الطبيعي المسال العالمية، وتقع معظم هذه التدفقات من قطر التي تنتج نحو ١٨ إلى ٢٠% من الغاز المسال في العالم، ويتوقع أن تزيد النسبة إلى ٢٥% من إجمالي السوق العالمية للغاز المسال مع نهاية العقد الحالي.

> يمر عبر مضيق «هرمز» ٢٠ مليون برميل نفط يومياً وثلث صادرات الغاز الطبيعي المسال العالمية

وكذلك تعبر المضيق يومياً ما بين ٧٠ – ١٠٠ ناقلة عملاقة تحمل ما يقارب ١٧ – ٢٠ مليون برميل من النفط، وأكثر من ثلث تجارة الغاز الطبيعي المسال عالمياً، وذلك عبر مسارين ملاحيين لا يتجاوز عرض كل منهما ميلين بحريين مع منطقة عازلة للفصل بين الاتجاهين، هذا الحجم الهائل من الحركة، بمعدل سفينة كل ١٠ – ١٢ دقيقة، يجعل مضيق هرمز واحداً من أكثر الممرات البحرية ازدحاماً وكثافة في العالم، وشرياناً ضيقاً عالي الحساسية وقابلاً للتأثر السريع بأي أزمة أو توتر إقليمي.

دول الخليج أول من يدفع الثمن:

إغلاق المضيق قد يؤدي لشلل شبه كامل في شريان الإيرادات الرئيس لدول مجلس التعاون الخليجي، حيث يمكن أن تجبر الخزاناتُ الممتلئة وعدم القدرة

على الشحن المصافيَ والآبار على تخفيض أو إيقاف الإنتاج تدريجياً؛ ما يتسبب في خسائر مالية تقدر بمئات الملايين من الدولارات يومياً.

كما أن ارتفاع التكاليف اللوجستية المتمثل في رفع أقساط التأمين ضد أخطار الحرب إلى مستويات قياسية، وتتضاعف أجور الشحن البحري، سيرفع بالتأكيد تكلفة كافة السلع الواردة.

ولأن دول الخليج تستورد أكثر من ٨٥٪ من احتياجاتها الغذائية عبر البحر، فقد يترتب على توقف حركة السفن أخطار نفاد التموين واستنزاف المخزونات الإستراتيجية.

إيران بين نارين:

حشْرُ إيران في زاوية ضيقة يجعلها تضطر للاعتماد على إغلاق أو التهديد بإغلاق المضيق كورقة ضغط سياسية وتكتيكية للردع والمساومة في المفاوضات الدولية، غير أن هذه الإستراتيجية تحمل أيضاً نتائج عكسية مجحفة بحق اقتصادها المنهك تتمثل في:

١- شلل الصادرات: حيث تعتمد إيران بشكل كبير على موانئ الخليج العربي (مثل جزيرة خارك) لتصدير نفطها، ويؤدي الإغلاق إلى توقف تدفقات العائدات التي تعتمد عليها الحكومة لتمويل ميزانيتها المتهالكة.

٢- العزلة الاقتصادية: فقد يجهز هذا القرار على ما تبقى من شراكات تجارية، وينفّر حلفاءها القلائل الذين يعتمدون على استقرار أسواق الطاقة.

تداعيات إقليمية حادة:

لا شك أن تداعيات إغلاق مضيق هرمز ليست محصورة بالدول المطلة عليه، ولكن ارتداداتها تضرب بقوة الاقتصادات غير النفطية في الشرق الأوسط وشمال أفريقيا، فقد شهدت دول مثل مصر والأردن ولبنان موجات تضخمية تجاوزت أحياناً ٢٠% نتيجة ارتفاع تكاليف الوقود والشحن، بينما ارتفعت أسعار السلع الأساسية بنسب

إغلاق المضيق يؤدي لشلل شبه كامل في شريان الإيرادات الرئيس لدول مجلس التعاون

تتراوح بين ١٥ و٣٠% خلال أسابيع قليلة، كما أدى اضطراب الملاحة وإعادة توجيه المسارات البحرية والجوية إلى زيادة تكاليف النقل الإقليمي بنسبة تصل لـ٢٥% وفق تقديرات «لويد».

ويشير الخبير الاقتصادي الإقليمي د. سامر خوري إلى أن المنطقة غير النفطية تدفع ثمناً مضاعفاً، فهي لا تملك موارد الطاقة ولا طرقاً بديلة؛ ما يجعلها الأكثر هشاشة أمام صدمات هرمز.

وفي السياق ذاته، تراجعت تدفقات الاستثمار الأجنبي المباشر في المنطقة بنسبة ١٢% خلال فترات التوتر، بينما انكمش قطاع السياحة في دول شمال أفريقيا بنحو ١٨٪ بسبب ارتفاع الأخطار الجيوسياسية، وتوضح المديرة التنفيذية في المركز البريطاني العالمي للسياسات الدولية (تشاتام هاوس) هيلين توماس أن اضطراب هرمز يعيد صياغة حسابات المستثمرين عالمياً، فالأخطار لم تعد محلية، بل إقليمية ممتدة.

أما المدير التنفيذي لوكالة الطاقة الدولية د. فاتيح بيرول فيحذر من أن إغلاق مضيق هرمز لا يهدد أسعار النفط فحسب، بل يعيد رسم خارطة الأخطار في الشرق الأوسط كلياً، ويقوّض مفهوم الاستقرار الإقليمي الذي بُنيت عليه خطط التحول الاقتصادي طوال العقود الماضية.

آسيا المتضرر الأكبر:

لقد أظهرت الحرب الأمريكية الإيرانية أن القارة الآسيوية هي الحلقة الأضعف في أي اضطراب يطال مضيق هرمز، فهي التي تستوعب أكثر من ٧٥% من صادرات النفط الخليجي، ونحو ٥٩% من الغاز الطبيعي المسال؛ ما يجعلها الأكثر عرضة لصدمة إمدادات فورية، فالصين، بصفتها أكبر مستورد للنفط عالمياً، تعتمد على الخليج لتأمين ما يقارب ٥٠% من احتياجاتها النفطية، وهو ما يضع صناعاتها الثقيلة أمام ارتفاعات تتجاوز ٣٠% من تكاليف الإنتاج إذا ما تعطلت الإمدادات.

ويشير الخبير في أمن الطاقة دانيال بيرجين إلى أن أي اضطراب في هرمز يتحول مباشرة إلى أزمة صناعية في آسيا، لأن المنطقة لا تمتلك بدائل سريعة أو رخيصة، أما الهند، التي تعتمد على الواردات النفطية بنسبة ٨٥%، فقد شهدت في أزمات سابقة اتساعاً في عجز الحساب الجاري بنسبة ٢٢% وهبوطاً في الروبية بنسبة ١٠% خلال أسابيع، ويؤكد الخبير الهندي سوبرامانيان سوامي أن أمن الطاقة الهندي يبدأ وينتهي في هرمز، وأي إغلاق يضرب الاقتصاد الهندي في القلب.

وفي اليابان وكوريا الجنوبية، اللتين تغطيان ما بين ٧٠ و٨٠% من احتياجاتهما النفطية عبر المضيق، يؤدي أي تعطل إلى السحب السريع من المخزونات

القارة الآسيوية الحلقة الأضعف بأي اضطراب بـ«هرمز» حيث تستوعب نحو ٧٥% من صادرات النفط

مضيق «هرمز» سيظل حجر الدومينو الأهم في معادلة الاستقرار الاقتصادي العالمي

الإستراتيجية التي لا تكفي عادة سوى ما بين ٣٠ و٩٠ يوماً فقط؛ ما يضعهما أمام أزمات طاقة حادة وارتفاعات في أسعار الكهرباء والصناعة تتجاوز ٢٥%.

العالم يعاني من ركود تضخمي مدمر

قفزت أسعار خام برنت بأكثر من ٤٠% خلال أيام قليلة من اندلاع الأزمة، فيما ارتفعت أسعار الغاز الطبيعي المسال بنسبة تجاوزت ٥٥% في الأسواق الفورية؛ ما وضع الاقتصاد العالمي أمام سيناريو الركود التضخمي الذي يجمع بين ارتفاع الأسعار وانكماش النمو، هذا الوضع يضع البنوك المركزية في أوروبا بين خيارين أحلاهما مر؛ رفع أسعار الفائدة لكبح التضخم، أو الإبقاء عليها لتجنب انهيار النمو.

ويشير كبير محللي الطاقة في بنك أوف أميركا، مايكل هارتنيت، إلى أن أي اضطراب في هرمز يتحول فوراً إلى صدمة تضخمية عالمية؛ لأن العالم لا يمتلك مرونة كافية لتعويض هذا الحجم من الإمدادات.

كما يؤكد الخبير الاقتصادي نوريل روبيني أن الركود التضخمي لم يعد احتمالاً نظرياً، بل يعد مساراً واقعياً إذا استمرت الأزمة في الخليج، وتضيف كبيرة محللي السلع في جي بي مورغان ناتاشا كانيفا أن قفزة أسعار الطاقة الحالية هي الأكبر منذ عام ٢٠٠٨م، وقد تعيد تشكيل السياسة النقدية عالمياً.

عودة أشد لأزمة الطاقة في أوروبا:

تجد أوروبا نفسها مرة أخرى في قلب العاصفة، إذ تعتمد على الغاز المسال القادم من قطر بنسبة تتجاوز ٢٠% من إجمالي وارداتها بعد تقليص اعتمادها على الغاز الروسي، ومع تعطل الملاحة في مضيق هرمز، تواجه القارة العجوز صدمة إمدادات جديدة تدفعها إلى منافسة شرسة في الأسواق الفورية بأسعار قياسية، حيث ارتفعت تكلفة شحنات الغاز المسال إلى أوروبا بنسبة ٦٠% خلال أسبوع واحد.

يقول الخبير الأوروبي في أمن الطاقة كلاوس مولر: إن أوروبا تعيش اليوم نسخة جديدة من أزمة الطاقة، لكن هذه المرة بلا بدائل جاهزة.

وفي ضوء التوترات المتصاعدة، يثبت الواقع الجيوسياسي أن مضيق هرمز سيظل حجر الدومينو الأهم في معادلة الاستقرار الاقتصادي العالمي، حيث يرى خبير أمن الطاقة دانيال ييرجين أن هرمز ليس مجرد ممر بحري، بل صمام أمان للاقتصاد العالمي، وأي خلل فيه يتحول إلى أزمة عالمية خلال ساعات.

كما يؤكد المدير التنفيذي لوكالة الطاقة الدولية فاتيح بيرول أن الردع العسكري وحده لم يعد كافياً لضمان استقرار الإمدادات في منطقة شديدة الحساسية مثل الخليج.

إن حماية هذا الشريان الحيوي تتطلب صيغة تفاهم إقليمي ودولي تعيد بناء الثقة وتضع قواعد واضحة لحرية الملاحة وأمن الطاقة، بعيداً عن الحلول العسكرية التي أثبتت محدوديتها، فتكلفة اختناق المضيق ليست مجرد أرقام تتقلب في أسواق النفط، وإنما تهديد مباشر يدفع الاقتصاد العالمي نحو مسار مظلم من التراجع والاضطراب، ويعيد إنتاج أزمات الطاقة الكبرى التي شهدها العالم في السبعينيات.

وتشير خبيرة الجغرافيا السياسية في «تشاتام هاوس» هيلين كلارك إلى أن التسوية السياسية الشاملة لم تعد خياراً تكميلياً، بل ضرورة إستراتيجية لضمان مستقبل اقتصادي مستقر وآمن للجميع. ■

لغز الاقتصاد التركي.. قراءة في العلاقة بين الاستقرار السياسي والتحول الاقتصادي

محمد رقيب أوغلو

أستاذ العلوم السياسية بجامعة ماردين أرتوكلو- تركيا

عندما يُذكر اسم تركيا في السنوات الأخيرة، يتبادر إلى الذهن أولاً نجاحاتها في السياسة الخارجية؛ مثل استضافة قمة «الناتو» في أنقرة، والمبادرات الدبلوماسية في سورية وغزة، والدور الإقليمي في الوساطة.

تُناقَش تركيا اليوم بوصفها فاعلاً متزايد الثقل، قادراً على مواكبة التحديات والتحولات السياسية العالمية بسرعة، لكن خلف هذا الحضور اللافت في السياسة الخارجية، يبقى سؤال أقل بروزاً: كيف يتشكّل الاقتصاد الذي يحمل هذه السياسة الخارجية النشطة من الداخل؟ وهل هذا النموذج الذي يحافظ على النمو رغم التضخم المرتفع نموذج متين حقاً، أم أنه نجاح مؤقت ناتج عن حزم سياسي؟

العيش داخل تناقض نظري.. التضخم والنمو:

تفترض النظرية الاقتصادية الكلاسيكية أن السياسة النقدية المشددة والنمو الاقتصادي لا يمكن أن يجتمعا لفترة طويلة، فحين رُفعت فائدة البنك المركزي من ٨,٥٪ إلى ٥٠٪، كان المتوقع أن يشهد الاقتصاد تباطؤاً حاداً، غير أن الاقتصاد التركي واصل النمو؛ ٥,١٪ عام ٢٠٢٣م، و٣,٢٪ عام ٢٠٢٤م، و٣,٦٪ عام ٢٠٢٥م، بينما تراجع التضخم من ذروته التي بلغت نحو ٧٥٪ في منتصف عام ٢٠٢٤م إلى مستوى ٣١٪ في نهاية عام ٢٠٢٥م.

ورغم أن هذا المشهد يمنح الحكومة سنداً لخطابها القائل بأنه «لا تناقض بين التضخم والنمو»، فإنه في الواقع يكشف عن تفاعل عدة آليات في آن واحد؛ انتعاش القطاع الزراعي، وضبط الإنفاق العام، واستخدام سياسة الدخول (زيادات الحد الأدنى للأجور) كمرساة، وقدرة الاقتصاد غير المسجَّل على تنشيط الطلب الداخلي، مجموع هذه العوامل يخلق توازناً يؤجل الركود لكنه يحمل هشاشة كامنة؛ لذا فإن هذا المشهد ليس استثناءً نظرياً، وإنما توازن جزئي وهش مدعوم بخيارات سياسية.

الحزم السياسي وإدارة الأخطار متعددة الأبعاد:

خلف هذا المشهد الاقتصادي، يقف قرار إستراتيجي اتخذه الرئيس رجب طيب أردوغان مباشرة بعد فوزه الانتخابي عام ٢٠٢٣م؛ تسليم إدارة الاقتصاد إلى محمد شيمشك، الاسم الذي تثق به الأسواق الدولية، وتسليم السياسة النقدية إلى فاتح كاراهان.

هذا التسليم كان يعني تحمّل تبعات قرارات مكلفة على المدى القصير، مثل رفع الفائدة، ويمكن قراءة هذا الخيار في نقطة تلتقي فيها العقلانية الاقتصادية مع الحسابات السياسية بعيدة المدى؛ إذ يبدو أن الأخطار الاقتصادية الكلية الناتجة عن تأخر مكافحة التضخم قد قُدِّرت بأنها أثقل من التكاليف القصيرة الأمد.

وبما أن النمو والتوظيف يُعدّان من المؤشرات الأساسية للاستقرار الاقتصادي، فقد اختارت الحكومة عدم اعتماد التشديد النقدي وحده كهدف نهائي، بل إدارته بتوازن مع النمو؛ ولهذا جرى تعديل بعض الإجراءات الضريبية التي اقترحها شيمشك من حين لآخر، ولم يُخفَّض الإنفاق العام بشكل كامل.

والنتيجة نموذج إدارة هجين، يُعاد ضبطه باستمرار بين الانضباط الفني والقيود الواقعية للاقتصاد السياسي، ومنطق هذا النموذج إنتاج الاستقرار ليس فقط عبر أرقام التضخم، بل أيضاً عبر موازنة النمو والتوظيف؛ إذ إن التشديد الأحادي البُعد كان يمكن أن يخفض التضخم أسرع، لكنه كان سيحمل أخطاراً أخرى كالانكماش الاقتصادي وارتفاع البطالة.

من هذه الزاوية، يمكن اعتبار السياسة المتبعة محاولة لإدارة أخطار متعددة الأبعاد، غير أن لهذا التوازن كلفته؛ الفجوة بين الحد الأدنى للأجور وخط الفقر تتسع، وعدم المساواة في الدخل يتعمّق، والانعكاس الاجتماعي لأرقام النمو لا يتحسن بالسرعة نفسها على مستوى الأسر، وهذا ما يجعل استدامة النموذج، خاصة مع اقتراب الاستحقاق الانتخابي، عرضة للاختبار اقتصادياً.

موقع تركيا كفاعل اقتصادي إقليمي:

لا تقتصر القصة الاقتصادية لتركيا على التوازن الداخلي فقط؛ فالبلاد تعيد أيضاً تموضعها كقوة اقتصادية إقليمية، فموقعها الجغرافي كنقطة عبور رئيسة للطاقة نحو أوروبا، وقربها من موارد الطاقة في شرق البحر المتوسط، يمنحانها ميزة إستراتيجية.

كما أن مسار التحول في سورية وإعادة إعمار غزة يفتحان مجالاً اقتصادياً مهماً لقطاعي البناء والصناعة التركيَّيْن، وهو مثال ملموس على تحوّل الدور النشط في السياسة الخارجية إلى مردود اقتصادي.

وفي الوقت نفسه، تمنح العلاقات الاستثمارية المتنامية مع دول الخليج -السعودية والإمارات وقطر- تركيا تدفقات رأسمالية مباشرة وفرصة لتوازن سياسي إقليمي.

أما المصداقية الدولية التي أُعيد بناؤها في عهد إدارة شيمشك، مدعومة بتعاون معزّز مع البنك الدولي والبنك الإسلامي للتنمية وجهات مماثلة، فتجعل تركيا وجهة أكثر موثوقية في نظر المستثمرين الدوليين.

وهكذا تحاول تركيا استكمال ثقلها الأمني والدبلوماسي الذي أظهرته في قمة «الناتو» الأخيرة، بادعاء أن تكون أيضاً مركز جذب اقتصادي في المنطقة الخاتمة تُظهر التجربة التركية أن السياسات الاقتصادية ليست يوماً مسألة فنية بحتة، بل هي دائماً جزء من حسابات سياسية أوسع.

فتولي فريق تكنوقراطي مسؤولية القرارات الصعبة، خفّض من أخطار عدم الاستقرار على المدى القصير، ونقل تركيا إلى موقع شريك اقتصادي أكثر موثوقية في محيطها الإقليمي، غير أن هذا الاستقرار ليس بلا كلفة اجتماعية؛ واستدامته لا تزال قيد الاختبار، سواء على مستوى التوازن الاقتصادي الداخلي أو في ضوء الاستحقاق الانتخابي المقبل.■

ثلاثي الاقتصاد الإسلامي الواعـــد..

تركيـا وباكستـان وأفغانستـان تكافح المنظومة الربوية بمقاربات إسلامية

تحقيق- حسن القباني:

تطرح التجارب الاقتصادية لباكستان وتركيا وأفغانستان مؤشرات واعدة ذات دلالة لدى خبراء الاقتصاد الإسلامي، حيث ترسم، وفق حديثهم لـ«المجتمع»، مسارات تحرك تكافح للانعتاق من المنظومة الربوية، وتظهر حرصاً على التوجه نحو التحول الكامل نحو النظام الإسلامي، رغم التحديات والمعوقات.

في البداية، يقول د. شريف الله إبراهيمي، الأكاديمي المتخصص في الاقتصاد الإسلامي، لـ«المجتمع»: التجربة الاقتصادية في أفغانستان تستحق المتابعة بوصفها إحدى أكثر المحاولات جرأة في العالم الإسلامي؛ لأنها تسعى بقيادة البنك المركزي الأفغاني إلى إعادة بناء المنظومة المالية على أسس الشريعة، مع تقليص الاعتماد على المعاملات الربوية، وذلك في ظروف استثنائية تتسم بالعزلة المالية، والعقوبات، ونقص الموارد، وتجميد الاحتياطيات الأجنبية الأفغانية.

ويضيف أن بعض المؤشرات الإيجابية قد تحققت، مثل تعزيز الإيرادات المحلية، والمحافظة على قدر من الاستقرار النقدي؛ حيث تشير تقارير منظمة جنوب آسيا للتعاون الإقليمي (SAARC) لعام ٢٠٢٦م، إلى نجاح ملموس في كبح التضخم لدرجات سالبة وتحسن العملة المحلية، والمضي في تطوير الإطار التشريعي والتنظيمي للصيرفة الإسلامية بالاستعانة بالخبرات الإقليمية كاتحاد البنوك التشاركية التركية لتطوير المدفوعات الرقمية.

ويوضح أن التقييم العلمي يقتضي التمييز بين اكتمال المنظومة التنظيمية وواقع التطبيق الفعلي؛ فقد نجح البنك المركزي الأفغاني في وضع وصياغة النظام التشريعي والتقنين القانوني للصيرفة الإسلامية بشكل متكامل وشامل، إلا أنه على أرض الواقع ما يزال في أفغانستان بنك واحد فقط يعمل بوصفه بنكاً إسلامياً متكاملاً وهو البنك الإسلامي الأفغاني (IBA)، بينما تقف بقية المصارف في الدولة كبنوك تقليدية (ربوية) في أصل بنيتها، وتعتمد في معظمها على مجرد «نوافذ للصيرفة الإسلامية» ملحقة بها.

ويؤكد أن التطبيق العملي للتمويل الإسلامي داخل هذه النوافذ والبنك الإسلامي لا يزال يتركز بصورة رئيسة على المرابحة، في حين أن صيغ التمويل والاستثمار الأخرى، كالمضاربة والمشاركة والإجارة والاستصناع وغيرها ما زالت محدودة الحضور في الممارسة المصرفية الفعلية، رغم وجود أطرها التشريعية المتكاملة.

ويضيف د. إبراهيمي أن القطاع المصرفي كذلك يواجه تحديات هيكلية، أبرزها ضعف السيولة، ومحدودية الودائع الاستثمارية، وتراجع ثقة الجمهور بالمصارف (إذ لا تتجاوز نسبة الشمول المالي حاجز ٦% تقريباً)، الأمر الذي جعل نشاط البنوك يتركز في الودائع الصغيرة والمعاملات اليومية، مع قدرة محدودة على تمويل المشاريع التنموية الكبرى.

ويؤكد أن التجربة الأفغانية، رغم عدم اكتمالها، تمضي بخطوات جادة نحو بناء نموذج مالي إسلامي مستقل، بما يؤهلها مستقبلاً لأن تكون تجربة ملهمة في التحرر التدريجي من هيمنة المنظومة الربوية وإثبات كفاءة البديل الإسلامي، وذلك شريطة بناء الثقة بالقطاع المصرفي، وتفعيل أدوات التمويل الإسلامي، وتخفيف آثار العزلة المالية، ومواءمة القواعد مع معايير هيئة المحاسبة والمراجعة للمؤسسات المالية الإسلامية (AAOIFI)، واستعادة العلاقات المصرفية الدولية وتوسيع التعامل عبر نظام «سويفت».

باكستان.. تطور ملموس

بدوره، يوضح الخبير الاقتصادي رئيس الأكاديمية الأوروبية للتمويل والاقتصاد الإسلامي د. أشرف دوابه، في حديثه لـ«المجتمع»، أن التجربة

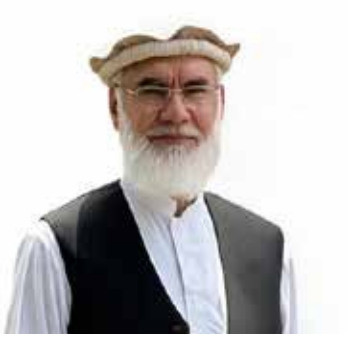

إبراهيمي: التجربة الأفغانية تمضي بخطوات جادة وملموسة نحو صياغة نموذج مالي إسلامي مستقل

الباكستانية من التجارب المبكرة في محاولة أسلمة الاقتصاد والعمل المصرفي منذ عهد الرئيس ضياء الحق؛ ما ساهم في حدوث تطور ملموس في قطاع الصيرفة الإسلامية بالبلاد.

ويشير إلى أن أهم نقاط القوة في هذه التجربة أن البنك المركزي الباكستاني يمتلك إطاراً تنظيمياً متقدماً، وهيئة رقابة شرعية على مستوى البنك المركزي والبنوك، إلى جانب وجود جامعات ومراكز أبحاث متخصصة في الاقتصاد الإسلامي، لكن تواجه التجربة تحديات، وفق دوابه، أهمها عدم اكتمال عملية التحول إلى النظام الإسلامي بالكامل؛ حيث لا تزال التجربة محصورة في الجانب «الجزئي» (المصارف والتكافل) دون أن تنعكس على الاقتصاد الكلي الذي ما زال يعاني من التضخم، وضعف العملة، وارتفاع الدين العام، والاعتماد المتزايد على صندوق النقد الدولي.

ويضيف دوابه أن هناك خطوة إيجابية حدثت في الفترة الأخيرة تتمثل في إصدار المحكمة الاتحادية الشرعية في باكستان حكماً يؤكد ضرورة إزالة الربا من النظام المالي، ترتب عليه التزام الحكومة بوضع خطة يقودها البنك المركزي للتحول التدريجي، إلا أن هذا التحول الكامل لم يتحقق على أرض الواقع حتى الآن.

دوابه: باكستان من التجارب المبكرة في محاولة أسلمة الاقتصاد والمصارف.. وتواجه تحديات

فيما يتفق دوابه مع إبراهيمي في أن أفغانستان تمضي في تحول جيد وجاد نحو أسلمة القطاع المصرفي وتطبيق الاقتصاد الإسلامي، رغم التحديات الهيكلية والسياسية التي تواجهها في ظل الحصار الدولي.

نهج الانعتاق التركي

من جانبه، يستعرض الخبير الاقتصادي عبدالحافظ الصاوي التجربة التركية بعد عام ٢٠٠٣م، حيث نجحت حكومة حزب العدالة والتنمية فور تسلمها السلطة في سداد الديون المتراكمة الموروثة عن الحكومات السابقة وتصفية علاقتها بصندوق النقد الدولي تماماً، مشيراً إلى أن التعاون مع البنك الدولي بات ينحصر في مشروعات نوعية ومحدودة للغاية، كان أبرزها الاستفادة من حزم التمويل الموجهة لجهود إعادة إعمار المناطق الجنوبية عقب زلزال عام ٢٠٢٣م، المدمر، الذي قُدرت تكلفته الإجمالية بنحو ١٠٠ مليار دولار.

ويوضح الصاوي، في حديثه لـ«المجتمع»، إلى أن تركيا لم تنعتق بشكل كامل من الاعتماد على النظام الربوي التقليدي؛ حيث لا تزال المصارف التقليدية تهيمن على المشهد، بينما لا يتعدى عدد البنوك التشاركية (الإسلامية) ٤ أو ٥ بنوك بحصة سوقية تبلغ نحو ١٠% فقط من إجمالي أصول القطاع، بجانب استمرار اعتماد الاقتصاد التركي على أسعار الفائدة المرتفعة، خاصة في الفترة الممتدة من عام ٢٠٢٣م حتى الآن، وهو ما تحول إلى أحد أبرز معوقات التنمية ورفع من تكلفة الإنتاج والتمويل.

الصاوي: تركيا لم تنعتق بشكل كامل من الاعتماد على النظام الربوي.. لكنها تحاول بقوة

ورغم استمرار هيكل الاقتصاد الكلي والبنية الاقتصادية في تركيا ضمن الإطار الرأسمالي، يؤكد الصاوي أن البلاد تبذل جهوداً متواصلة لتعزيز حضور الاقتصاد الإسلامي أكاديمياً وتنفيذياً، رغم الضغوط الخارجية التي تفرض تحولاً تدريجياً.

ويثمن إعلان الرئيس رجب طيب أردوغان دمج أكبر ٣ بنوك تشاركية مملوكة للدولة في كيان مصرفي موحد، معتبراً أنه يمثل تحولاً هيكلياً إيجابياً يعزز قدرة البنوك التشاركية على تمويل المشروعات الإستراتيجية وخدمة الاقتصاد الحقيقي.

ويستشرف الصاوي التجربة الأفغانية، متوقعاً أن تحقق نموذجاً تنموياً مستقلاً رغم الحصار ومحدودية الناتج المحلي، اعتماداً على تشجيع الأنشطة الإنتاجية، وبناء الاقتصاد بالقدرات الذاتية، والالتزام بعدم اللجوء إلى الاقتراض الدولي القائم على الفوائد الربوية. ■

الإنسان في قلب العاصفة.. التداعيات الاجتماعية والنفسية والقطاعية للموجة التضخمية الكبرى

د. فداء منصور الجوهري
باحثة أكاديمية وكاتبة اقتصادية

عندما يتحدث الاقتصاديون عن الأزمات المالية العالمية أو معدلات التضخم ومؤشرات الركود، غالباً ما تزدحم الشاشات بالأرقام الصماء والمنحنيات البيانية المعقدة، لكنْ خلف كل فاصلة عشرية في معدلات التضخم، وهبوط في مؤشرات البورصات، تختبئ قصة إنسانية كاملة.

إن الأزمات الاقتصادية ليست مجرد أرقام في ميزانيات الدول، بل هي قصة أب يوازن بقلق بين ثمن الدواء وفاتورة الكهرباء، وأم تقف حائرة أمام رفوف المتجر تبحث عن بدائل أرخص لإطعام أطفالها، إنها باختصار، عاصفة تضرب الإنسان في أخص تفاصيل حياته اليومية.

يعرّف التضخم ببساطة بأنه انخفاض القوة الشرائية للنقود؛ أي أن كمية الأموال نفسها تشتري سلعاً أقل بمرور الوقت، لكن هذا التعريف الأكاديمي البسيط يخفي حقيقة اجتماعية مؤلمة مفادها أن التضخم لا يضرب الجميع بالقدر نفسه، فهو بمثابة ضريبة عمياء قاسية، تلتهم النسبة الأكبر من دخل الأسر ذات الدخل المحدود مقارنة بالأسر الغنية.

عندما ترتفع أسعار السلع الأساسية كالقمح والوقود، تضطر الأسر الفقيرة إلى إنفاق كامل دخلها تقريباً على توفير الضرورات المعيشية، هذا الضغط يدفع بالفئات الهشة إلى التخلي عن سلع وخدمات أساسية، مثل الرعاية الصحية أو جودة التعليم.

وتشير دراسات البنك الدولي إلى أن الموجات التضخمية الحادة تعمل كآلة لإعادة إنتاج الفقر؛ حيث تدفع بملايين الأفراد حول العالم إلى ما دون خط الفقر المطلق في غضون أشهر قليلة؛ ما يعمق الفجوة الطبقية ويهدد السلم الاجتماعي.

الشرخ النفسي.. القلق الاقتصادي كمهدد للصحة العقلية:

لا تتوقف تداعيات الأزمة عند حدود الجيوب الفارغة، بل تمتد لتتغلغل في أعماق النفس البشرية؛ حيث إن العيش تحت التهديد المستمر لفقدان الوظيفة، أو العجز عن سداد الإيجار، أو عدم القدرة على تلبية الاحتياجات الأساسية، يولد ما يسميه علماء النفس «القلق الاقتصادي المزمن»، هذا النوع من القلق ليس مجرد شعور عابر بالضيق، بل هو مهدد جدي للصحة العقلية والجسدية.

تؤكد الأبحاث الصادرة عن جمعية علم النفس الأمريكية أن الأزمات المالية ترتبط ارتباطاً وثيقاً بزيادة معدلات الاكتئاب، واضطرابات النوم، وحالات الانفصال الأسري، حيث سُجل التضخم كمصدر للتوتر لدى ٨٣% من البالغين عام ٢٠٢٢م، وكان الاقتصاد والمال بنسبة ٦٩% و٦٦% على الترتيب يمثلان كذلك مصدراً رئيساً للتوتر، ومن بين من اعتبروا المال مصدراً للتوتر، أشار معظمهم إلى أن التوتر يكمن في عدم كفاية المال لتلبية الاحتياجات الأساسية.

عندما يفقد الفرد شعوره بالأمان المالي، يفقد بالضرورة استقراره النفسي، وتتحول البيوت من ملاذات آمنة إلى بؤر يطغى عليها القلق والتوتر والضغوط المعيشية، وهو ما ينعكس سلباً على إنتاجية المجتمع ككل، ويزيد من الأعباء على المنظومات الصحية المثقلة أساساً.

زلزال القطاعات.. من الغذاء إلى التكنولوجيا:

تنتقل تداعيات الأزمة الاقتصادية عبر

شرايين القطاعات المختلفة مثل أحجار الدومينو، متأثرة بظاهرة التضخم المصحوب بالركود؛ وهي الحالة التي تجتمع فيها الأسعار المرتفعة مع نمو اقتصادي بطيء.

١- قطاع الغذاء والزراعة: يعد هذا القطاع الخط الأمامي للمواجهة؛ فمع ارتفاع أسعار الأسمدة والطاقة، يجد المزارعون أنفسهم عاجزين عن تحمل تكاليف الإنتاج؛ وهو ما يؤدي إلى نقص المعروض العالمي وارتفاع جنوني في أسعار الغذاء، مهدداً بحدوث أزمات أمن غذائي حادة، لا سيما في الدول النامية.

٢- قطاع السكن والعقارات: مع لجوء البنوك المركزية لرفع أسعار الفائدة بكثافة لكبح التضخم، ترتفع تكلفة القروض العقارية، والنتيجة الحتمية عجز جيل الشباب عن تملك المنازل، وارتفاع إيجارات العقارات القائمة؛ ما يعمق أزمة السكن ويزيد من ظاهرة التشرد في المدن الكبرى.

٣- قطاع التكنولوجيا والشركات الناشئة: لطالما عاش هذا القطاع على أموال التمويل الرخيص، ومع جفاف السيولة وارتفاع الفائدة، تضطر كبرى شركات التكنولوجيا إلى موجات تسريح جماعية للموظفين؛ ما يضيف فئات جديدة من الطبقة الوسطى المتعلمة إلى طوابير البطالة.

وقد شهدت شركات عالمية مثل «META» و«AMAZON» و«GOOGLE» خلال فترات تشديد السياسة النقدية موجات واسعة من تسريح العمالة، في حين واصلت شركات أخرى الاستثمار في مجالات الذكاء الاصطناعي؛ ما يعكس اختلاف تأثير

> الأزمة المالية المتوقعة جرس إنذار يعيد التذكير بخلل بنيوي في النموذج الاقتصادي العالمي

> إعادة صياغة السياسات الاقتصادية من خلال تعزيز شبكات الأمان الاجتماعي ودعم القطاعات الحيوية

الظروف الاقتصادية بين القطاعات الفرعية.

العولمة الجائرة.. كيف تدفع الدول النامية الفاتورة؟

في عالمنا المعاصر المتشابك، لا توجد أزمة محصورة داخل حدود دولة واحدة؛ حيث تنتقل آثار الاضطرابات الاقتصادية في الاقتصادات الكبرى بسرعة إلى بقية أنحاء العالم، غير أن الدول النامية والأسواق الناشئة تتلقى الصدمات بشكل أعنف بكثير وتتحمل النصيب الأكبر من هذه التداعيات.

تؤدي الأزمات المالية في الدول المتقدمة إلى هروب رؤوس الأموال من الدول النامية بحثاً عن ملاذات آمنة؛ ما يتسبب في انهيار العملات المحلية لهذه الدول أمام الدولار، هذا الانهيار في قيمة العملة يجعل السلع المستوردة (التي غالباً ما تكون أغذية وأدوية ووقود) تلتهم جيوب المواطنين، هكذا يجد المواطن في أفريقيا أو أمريكا اللاتينية نفسه يدفع ثمن قرارات اقتصادية وسياسات نقدية اتُّخذت في واشنطن أو فرانكفورت، دون أن يكون له أي ذنب أو يد فيها.

كيف يمكن للأسرة والمجتمع التخفيف من آثار التضخم؟

في مواجهة موجات التضخم، قد لا يملك الأفراد القدرة على تغيير السياسات الاقتصادية، لكن بإمكانهم اتخاذ خطوات عملية تساعد على تخفيف أثر ارتفاع الأسعار، فمن المفيد إعداد ميزانية شهرية واضحة لترتيب الأولويات، والحد من الديون ذات الفائدة المرتفعة، بالإضافة إلى تنويع مصادر الدخل بقدر الإمكان، وتخصيص جزء من الدخل للادخار أو للطوارئ، كما أن التخطيط المالي الهادئ والاستثمار طويل الأجل، وفق الإمكانات المتاحة، وبما يتوافق مع القدرة المالية، قد يسهمان في تعزيز الاستقرار المالي للأسرة وتقليل تأثير التقلبات الاقتصادية.

ومع ذلك، تظل الاستجابة الفردية قاصرة إن لم تُعزز بمنظومة تكافلية تتجاوز الأطر التقليدية القائمة على الفائدة التي تعمق الأزمات؛ وهنا يبرز دور آليات التكافل المؤسسي والشعبي المبتكرة؛ مثل صناديق الزكاة والصدقات الرقمية التي تستخدم التطبيقات البنكية لتوزيع المساعدات النقدية العاجلة على الأسر المتضررة في لحظتها، كما يمكن تفعيل المنصات المجتمعية للدعم العيني كبنوك الطعام المحلية.

أما على المدى البعيد، فإن مواجهة التضخم ليست معركة فردية مع الأسعار، بل هي مسؤولية جماعية تتطلب تحويل قيم التعاضد إلى هياكل تنموية مستدامة، تضمن تخفيف المعاناة عن الفئات الأكثر هشاشة.

نحو اقتصاد يرى الإنسان:

إن الأزمة المالية المتوقعة والموجة التضخمية الحالية ليستا مجرد دورتين اقتصاديتين حتميتين، بل هما جرس إنذار يعيد التذكير بخلل بنيوي في النموذج الاقتصادي العالمي الحالي الذي يقدس الأرقام والنمو الكمي على حساب الاستقرار البشري والكفاية الإنسانية.

مواجهة هذه العاصفة تتطلب ما هو أكثر من مجرد أدوات نقدية تقليدية مثل رفع أسعار الفائدة التي قد تزيد من ركود الأسواق، إنها تتطلب إعادة صياغة السياسات الاقتصادية لتصبح أكثر إنسانية من خلال تعزيز شبكات الأمان الاجتماعي، ودعم القطاعات الحيوية التي تمس حياة البشر اليومية كالغذاء والصحة، وضمان التوزيع العادل للأعباء؛ إذ يبقى المقياس الأسمى لنجاح أي نظام اقتصادي ليس في حجم الناتج المحلي الإجمالي فقط، بل في قدرته على حماية الإنسان عندما تبدأ العاصفة.■

الدور الحضاري للوقف الإسلامي وقت النوازل

د. أشرف عيد العنتبلي
باحث في الفكر الإسلامي

الوقف حبس أصل مالي ثابت، كالعقارات أو الأراضي أو المؤسسات أو غيرها، وتخصيص منافعه لأوجه البر والخير التي يحددها الواقف؛ بحيث تظل محفوظة ومنفعتها مستدامة، ولا يكون محلاً للتوارث أو التصرف بما يخرجه عن مقصد الواقف، أما النوازل فهي القضايا والأحداث المستجدة التي تطرأ على المجتمع، وتستدعي البحث عن المعالجات المناسبة لما يترتب عليها من آثار دينية أو اجتماعية أو اقتصادية أو إنسانية، وتمثل الأوقاف أحد الموارد القادرة على تلبية الاحتياجات الطارئة، والإسهام في الحد من آثار الأزمات.

يعد الوقف في الإسلام أحد أبرز النظم الحضارية القائمة على مبدأ الصدقة الجارية، بما يحقق استدامة النفع للأفراد والمجتمعات، ويجسد مقصداً شرعياً يتمثل في استمرار الأجر بعد وفاة الواقف، كما ورد في الحديث: «إذا مات الإنسان انقطع عنه عمله إلا من ثلاثة: صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له»[1].

وقد أسهم الوقف عبر التاريخ الإسلامي في دعم التنمية الاقتصادية والاجتماعية، والتعليم والرعاية الصحية والخدمات العامة، وتبرز قيمته الحضارية بصورة أكبر في أوقات النوازل والأزمات؛ لما يتمتع به من مرونة تتيح توجيه موارده نحو الاحتياجات الطارئة بما يسهم في تخفيف الأعباء عن الدولة والمجتمع.

وليس المقصود هنا استقصاء جميع أدوار الوقف في تقديم الدعم خلال النوازل التي مرّ بها المجتمع، وإنما يقتصر الحديث على عرض نماذج مختارة تُعد شواهد دالة على إسهاماتها في هذا الجانب.

الوقف ومواجهة النوازل في عهد النبي:

عقب الهجرة النبوية إلى المدينة المنورة، برزت أزمة مائية حادة تمثل أحد التحديات التي واجهت المجتمع الإسلامي الناشئ؛ فدعا النبي صلى الله عليه وسلم أثرياء المسلمين إلى شراء بئر «رُومة» ووقفها للمسلمين، ووعده بالجنة؛ فاشتراها عثمان بن عفان رضي الله عنه بمبلغ كبير جداً يقدر بـ٣٥ ألف درهم وجعلها وقفاً عاماً للمسلمين[2].

وبذلك غدا وقف بئر رومة مثالاً رائداً على توظيف الوقف في التصدي للأزمات المجتمعية، وكان له أثرٌ بالغ في انتشار ثقافة الوقف بين الصحابة، حتى بادر القادرون منهم إلى وقف أموالهم، وخشي الورثة من كثرة الأوقاف ألا يبقى لهم شيء من التركة.

ويتجلى الدور الاجتماعي للإنفاق الإسلامي في مواجهة النوازل في تجهيز «جيش العسرة» سنة ٩هـ في ظروف بالغة الصعوبة؛ حيث حث النبي صلى الله عليه وسلم المسلمين للإنفاق في تجهيز الجيش بشتى السبل قائلاً: «من جهز جيش العسرة فله الجنة»؛ فتسابق الصحابة، وكان أكثرهم عثمان بن عفان؛ حيث جهز جزءاً كبيراً من الجيش من ماله حتى قال عنه النبي صلى الله عليه وسلم: «ما ضرّ عثمان ما عمل بعد اليوم»[3].

دور الوقف في معالجة أزمة المياه في الحج ونشر العلم:

أسهمت الأوقاف في معالجة أزمة المياه التي تواجه الحجاج في مسالك الصحراء ومكة المكرمة؛ ما شكّل تحدياً حقيقياً أمام أداء هذه الشعيرة؛ الأمر الذي دفع الخلفاء والأمراء والأثرياء إلى توظيف الوقف لمعالجة هذه النازلة من خلال حفر الآبار والعيون وإنشاء البرك وتسبيلها للحجاج، ومن أبرزها: أوقاف أبي مسلم الخراساني، وزبيدة زوجة هارون الرشيد، ويحيى البرمكي، وأبي دلف العجلي، إضافة إلى مشاريع مائية أخرى استمرت في العصور اللاحقة لخدمة الحجاج وسكان مكة في العصر المملوكي والعثماني[4].

وتعد الرحلة في طلب العلم لا غنى عنها للعالم، وفي ذلك يقول ابن خلدون: الرحلة لا بد منها في طلب العلم؛ لاكتساب الفوائد والكمال بلقاء المشايخ، ومباشرة الرجال.

وكان للوقف أثر بارز في دعم الحركة العلمية والثقافية بين البلاد الإسلامية شرقاً وغرباً، إذ وفر الموارد المالية اللازمة لطلاب العلم، وساعد على تمويل رحلاتهم بين مراكز العلم في مختلف أقاليم العالم الإسلامي التي يعجز طلاب العلم عن تدبيرها، فضلاً عن تخصيص أوقاف لإقامتهم ومعاشهم، الأمر الذي أسهم في ازدهار الرحلات العلمية بين البلاد الإسلامية.

دور الوقف في فداء الأسرى ومعالجة آثار الحروب:

قد برز دور الوقف في فترات الأزمات الكبرى خلال الحروب الصليبية والغزو المغولي، إذ شكّلت قضية أسرى المسلمين في هذا العصر أخطر النوازل التي واجهت الأمة الإسلامية، فقد تجاوزت أعباؤها الإمكانات المالية للدولة؛ ما استدعى تضافر جهود المجتمع بمختلف فئاته، فبرز دور الوقف الحضاري في تمويل فداء الأسرى وتحريرهم، وفي مقدمتهم أمير الموصل نور الدين محمود الذي أوقف كثيراً من الأوقاف لهذا الغرض، وأنفق أموالاً كبيرة في سبيل تحرير الأسرى.

وكان تحرير الأسرى هدفاً إستراتيجياً لدى صلاح الدين الأيوبي، شاركه فيه العلماء والتجار بجهود كبيرة، وبذلوا كثيراً من الأموال في فكاك الأسرى، وأوقفوا من ممتلكاتهم أوقافاً لهذا الغرض، وامتدت هذه الجهود إلى المسلمين في صقلية الذين أسهموا بأموال الأوقاف لتحرير الأسرى، ومن أشهر هذه الأوقاف وقف صلاح الدين لبلدة بلبيس في مصر، ووقف القاضي الفاضل لداره المعروفة بـ«دار التمر»[٥].

دور الوقف في مواجهة النوازل الصحية والكوارث:

شكّل الوقف في الحضارة الإسلامية دوراً كبيراً في مواجهة النوازل الصحية والكوارث العامة، إذ أسهم في تخفيف آثار الأوبئة والمجاعات والأزمات الإنسانية، وتظهر نماذج من هذا الدور منذ صدر الإسلام في عام «الرمادة» سنة ١٨هـ حين أصابت الحجاز

الوقف أسهم عبر التاريخ الإسلامي في دعم التنمية الاقتصادية والاجتماعية والتعليم والرعاية الصحية

.. ويمكن أن يؤدي دوراً حضارياً في مواجهة النوازل والأزمات وترسيخ قيم التكافل الاجتماعي

مجاعة شديدة أدت إلى نقص الغذاء وانتشار الفقر؛ فأسهمت الصدقات والأوقاف في المساعدة بالطعام والماء وتقديم الرعاية للمحتاجين وتخفيف آثارها، وفي العام نفسه وقع طاعون «عمواس» في بلاد الشام، وهو من أعظم الأوبئة التي شهدها التاريخ الإسلامي، حيث خلّف خسائر بشرية كبيرة، وتضافرت جهود المجتمع عبر الصدقات والأوقاف في دعم المرضى وأسر المتوفين.

وتكرر ذلك في العصر الفاطمي أثناء الشدة المستنصرية (٤٥٧ - ٤٦٤هـ) التي تعد من أشد المجاعات التي عرفتها مصر، وفي مواجهة هذه الكارثة خُصص ريع كثير من الأوقاف لتوزيع الحبوب والخبز والطعام، والإنفاق على دور الإيواء والمرافق الصحية، وتقديم العون للفقراء في وقت تراجعت فيه إمكانات الدولة.

وفي العصر المملوكي، انتشرت الأوبئة بصورة مروعة؛ وكثرت الوفيات في الطرقات والأزقة حتى عجز الناس عن القيام بشؤون دفن الموتى؛ ما ترتب عليه كوارث بيئية؛ فلذلك كثرت الأوقاف من أجل تغسيل الموتى وتكفينهم ودفنهم، وصناعة التوابيت في أوقات الطواعين، وأوقفوها لنقل الموتى والصلاة عليهم، مثل وقف «الطرحاء» الذي أنشأه الظاهر بيبرس، وغيره مما كان له أهمية كبيرة في تخفيف أثر هذه الأوبئة[٦].

وهذه النماذج تؤكد أن الوقف يمكن أن يؤدي دوراً حضارياً في مواجهة النوازل، وترسيخ قيم التكافل الاجتماعي؛ ما يستدعي إعادة تفعيل دور الأوقاف وتطوير إدارتها واستثمارها بما يواكب متطلبات العصر، ويتحقق ذلك من خلال إنشاء أوقاف متخصصة لدعم الصحة والتعليم والبحث العلمي والإغاثة، وصناديق للطوارئ، مع توظيف التحول الرقمي والحوكمة والاستثمارات المستدامة بما يجمع بين أصالة الحضارة الإسلامية ومتطلبات التنمية الحديثة. ■

الهوامش

(١) صحيح مسلم، كتاب الوصية، باب ما يلحق الإنسان بالثواب بعد وفاته (١٦٣١).

(٢) صحيح البخاري، كتاب المساقاة، باب في الشرب (٢٢٥٢).

(٣) مسند الإمام أحمد، مسند أول البصريين، حديث عبدالرحمن بن سمرة، ج٥ ص٦٣، (٢٠٦٣٠).

(٤) تاريخ الرسل والملوك للطبري، ج٧، ص٤٨٠.

(٥) دور الوقف في فداء الأسرى في بلاد الشام ومصر (٤٩١- ٥٨٩هـ)، د. حسن عبدالوهاب حسين، مجلة كلية الآداب، جامع المنوفية، العدد (٤٤)، ٢٠٠١م، ص١٣٩.

(٦) الأوقاف والحياة الاجتماعية في مصر ٦٤٨ - ٩٢٣هـ، د. محمد محمد أمين، ص١٠٥.

دور الزكـــاة والوقـــف في الحد من تداعيات الأزمة الاقتصادية

د. فاطمة حافظ

باحثة في التاريخ مختصة بالتشريع الإسلامي وتاريخ القانون

شهد العالم في السنوات الأخيرة عدداً من الأزمات الاقتصادية، بعضها جاء عقب تفشي وباء كورونا، وبعضها ارتبط بالحروب العسكرية، وبعضها نتيجة السياسات المالية الخاطئة، ومع تكرار الأزمات يثور التساؤل: ما دور الزكاة، وهل هناك رؤية إسلامية يمكنها الحد من التأثيرات السلبية للأزمات الاقتصادية من قبيل الركود والبطالة وتراكم الديون؟

ينظر الإسلام إلى الأزمة الاقتصادية باعتبارها أزمة تسبب فيها سلوك الإنسان الخاطئ الذي تكاسل عن استغلال موارد بيئته أو أفرط في الاستهلاك وتجاوز الحد اللازم لكفايته، أو مارس الظلم في توزيع الموارد، أو اكتنز المال وأقرضه بربا فاحش.

وقد تكون الأزمة مؤسسية حين تتنصل الدولة عن أداء دورها في الضمان الاجتماعي وعدالة التوزيع من خلال إنفاذ أحكام الزكاة إلزامياً ومحاربة الربا، أو حين تعتمد سياسات اقتصادية تفتقر إلى الشفافية، أو حين تلجأ للاقتراض الدائم.

وعلى هذا، فليست الأزمة نتيجة قلة الموارد أو زيادة السكان كما يشاع؛ لأن الله تعالى كفل كفاية الرزق لعباده، وأكد أن أقوات البشر في السماء؛ ﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ﴾ (الذاريات: ٢٢)، ولذلك نهى عن قتل الأولاد خشية الفقر؛ ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ﴾ (الإسراء: ٣١).

ولم يكتف الإسلام بالتأكيد النظري على كفالة الرزق للخلق أجمعين، وإنما أرسى قواعد وضوابط خلقية وآليات عملية يمكنها أن تحد من الأزمات وتخفف آثارها، بل تكفل تحقيق التنمية المستدامة، وهي:

١- حظر الممارسات التي تحفز الأزمات: مثل الربا، والاقتراض المستدام بالربا، والاحتكار، وغير ذلك من السلوكيات التي تسبب الأزمات.

٢- وضع ضوابط أخلاقية يمارس من خلالها النشاط الاقتصادي؛ إذ أمر بالصدق في المعاملات، وعدم الكذب، ونهى عن الغش والتدليس في السلع -بيع الغرر والجهالة- ونهى عن بيع ما لا يملكه البائع.

٣- أكد الوظيفة الاقتصادية للدولة؛ إذ اعتبرها مسؤولة عن النشاط الاقتصادي للأفراد، فيجب عليها منع الاحتكار ومنع الاستغلال ومنع إساءة استعمال الحق والمضارة فيه.

علاوة على ذلك، تؤدي الصدقات والزكوات والأوقاف دوراً كبيراً في التنمية الاقتصادية، ويمكنها التخفيف من تداعيات الأزمات الاقتصادية.

> الأزمة الاقتصادية تقع حين تتنصل الدولة عن أداء دورها في الضمان الاجتماعي وعدالة التوزيع

دور الزكـــاة والوقـــف في علاج الأزمات الاقتصادية:

تساهم الزكاة بشكل فعَّال في التخفيف من تداعيات الأزمات ليس فقط بوصفها فريضة دينية، بل كأداة اقتصادية واجتماعية، وذلك من خلال الآليات التالية:

١- ضخ سيولة فورية في الاقتصاد وتحفيز الإنتاج: ذلك أن السلوك الشائع في الأزمات الميل إلى الاكتناز وتأجيل الإنفاق، وهنا يأتي دور الزكاة التي تخرج الأموال من يد الموسرين الراغبين الاكتناز وتدفعها للفقراء الذين يعمدون إلى الاستهلاك الفوري لشراء احتياجاتهم من الغذاء أو الكساء أو الدواء؛ الأمر الذي يحفز عجلة الاستهلاك ويحُول دون الركود الكامل.

٢- ضمان اجتماعي عاجل: على عكس البرامج الحكومية التي يتعذر وصولها إلى المحتاجين إلا بعد مضي زمن طويل وإجراءات بيروقراطية معقدة، فإن الزكاة تصل إلى يد المحتاجين في وقت قصير للغاية في ظل نظام بسيط لا مركزي يقوم به الأفراد أو المساجد أو

صناديق الزكاة؛ ما يسمح بتطويق آثار الأزمة في وقت قصير.

٣- معالجة أزمة الديون: تتنوع مصارف الزكاة تنوعاً يسمح بتوسيع قاعدة المستفيدين، ومن هذه المصارف سداد دين الغارمين، وهو أمر شائع حدوثه في الأزمات الاقتصادية؛ حيث تنتشر حالات التعثر في سداد القروض والديون الشخصية وغيرها، وسداد الديون آلية مزدوجة تقي المدينين من الملاحقة القضائية، وتحمي أموال الدائنين الصغار، وهو ما يقلص من إمكانيات حدوث الانهيار المالي.

٤- تعزيز الاستثمار: تُفرَض الزكاة على الأموال الثابتة التي حال عليها الحول، ويتكرر ذلك كل عام؛ وهو ما يدفع أصحاب رؤوس الأموال إلى الاستثمار الحقيقي بدلاً من تجميد الأموال خشية أن تلتهمها الزكاة، ويساعد ذلك على ضخ السيولة في الأسواق ويساعد على التعافي أثناء الأزمات.

دور الوقف في التخفيف من الأزمات:

يؤدي الوقف دوراً لا يقل أهمية عن دور الزكاة في التخفيف من حدة الأزمات، وثمة ضابطان يجب مراعاتهما قبل الحديث عن فاعلية الدور الوقفي، وهما:

أولاً: تنبيه الواقفين إلى أن الأصل تخصيص الوقف للمحتاجين أو لمصلحة عامة، وأما تخصيصه للأهل والذرية فرغم مشروعيته، فإنه لا يحقق المقصد من الوقف إذ ربما كان بعض الموقوف عليهم من الأهل ثرياً، وعندئذ يتحول الوقف إلى ما يشبه الميراث.

ثانياً: عدم حصر الوقف في مسائل مستوفاة بالفعل كبناء المساجد وزخرفتها

الإسلام يمتلك رؤية عظيمة تحد من تداعيات الأزمات الاقتصادية من خلال الزكاة والوقف

الصدقات والزكوات والأوقاف لها دور كبير في التنمية والتخفيف من تداعيات الأزمات الاقتصادية

وغيره، وتخصيصه لسد احتياجات حقيقية كبناء المنازل منخفضة التكلفة أو المستشفيات والمصانع، أو تمويل المشروعات الصغيرة والمتوسطة.

وتأسيسا على هذا، يمكن للوقف أن يسهم في التخفيف من حدة الأزمات

عبر الآليات التالية:

١- توفير الخدمات الأساسية أثناء الأزمات: ففي أثناء الأزمات تتراجع قدرة الحكومات على تمويل المؤسسات الصحية والتعليمية وغيرها، وعندئذ يبرز دور المؤسسات الوقفية المقابلة في تقديم خدماتها مجاناً، أو نظير مبالغ محدودة؛ ما يخفف من تأثيرات الأزمة على المتضررين.

٢- الحد من عجز الموازنة العامة للدولة: يمكن للوقف أن يقلص من عجز الموازنة العامة للدولة، وذلك من خلال مساعدة الحكومات، على أن تقصر نشاطها على إنتاج السلع الضرورية بقدر ما تسمح به مواردها، بالإضافة إلى دوره في زيادة الإيرادات العامة عن طريق دوره في حفز النشاط الاقتصادي.

٣- ضبط واستقرار الأسواق: يساهم الوقف في ضبط واستقرار الأسواق، إذ عادة ما يصاحب الأزمات محاولات لاحتكار السلع الأساسية، وفي هذه الحالة يستطيع الوقف أن يوفر الحبوب والمواد الغذائية الأولية، وهو الدور التاريخي الذي نهضت به المؤسسة الوقفية عبر التاريخ الإسلامي.

٤- خلق فرص عمل جديدة: يمكن للمؤسسة الوقفية توفير فرص عمل في مجالات مختلفة في مشروعاتها، ومن جهة أخرى يمكن أن تمنح قروضاً حسنة لأصحاب المشروعات والحرف؛ ما يقلص من البطالة.

يمتلك الإسلام رؤية يمكن أن تحد من تداعيات الأزمات الاقتصادية، وتبرز من خلالها الزكاة والوقف باعتبارهما الأدوات الرئيسة في هذه الرؤية. ■

نحو اقتصاد أخضر.. الصكوك الإسلامية آفاق وتحديات

تقرير- د. هبة جمال جاد:

في ظل التحديات البيئية التي تهدد مستقبل البشرية، برزت الحاجة لآليات تمويلية مبتكرة تدعم التحول نحو الاقتصاد الأخضر، وتقع على الدول الإسلامية الأكثر عرضة لآثار التغير المناخي مسؤولية تبني أدوات تتوافق مع قيمها وهويتها.

وقد أثبتت الصكوك الإسلامية، القائمة على الملكية والمشاركة وليس على الدين والربا، قدرتها على التكيف مع متطلبات التمويل البيئي، فانطلقت العديد من الدول والمؤسسات المالية الإسلامية في رحلة تجمع بين الالتزام الديني والمسؤولية البيئية لتحقيق أهداف التنمية المستدامة.

مفهوم الصكوك الخضراء وخصائصها الأساسية:

تُعرف الصكوك الخضراء بأنها أدوات مالية إسلامية متوافقة مع الشريعة، تُصدر لتمويل مشاريع بيئية كالطاقة المتجددة وكفاءة المياه والنقل النظيف، وتقوم على مبدأ الملكية في أصول قائمة، لا الدين كالسندات التقليدية؛ ما يربط التمويل بنشاط حقيقي ملموس.

ويُعرِّف المعيار الشرعي رقم (٦٢) الصكوك بأنها شهادات متساوية القيمة تمثل حصصاً غير قابلة للتجزئة في ملكية أصول ملموسة، أو منافع، أو خدمات، أو أصول مشاريع معينة أو نشاط استثماري خاص. (AAOIFI، المعيار الشرعي رقم ٦٢).

تتميز الصكوك الخضراء بالخصائص التالية:

١- التوافق الشرعي: تخضع لرقابة هيئات شرعية مستقلة تضمن خلوها من المحظورات الشرعية. (الربا، الغرر، الميسر).

٢- الشفافية والأثر البيئي: يُطلب من جهات الإصدار الإفصاح بوضوح عن كيفية استخدام العائدات والأثر البيئي المتوقع أو المتحقق للمشاريع الممولة.

٣- ربط العائد بالأصل: يعتمد عائد الصك على العائد الناتج عن الأصل أو المشروع الممول وليس على فائدة محددة سلفاً؛ ما يعزز العدالة ويحمي المستثمرين والممولين على السواء.

التطورات الحديثة وحجم السوق في الدول الإسلامية:

شهدت سوق الصكوك الخضراء نمواً متسارعاً، متجاوزاً إجمالي الإصدارات حاجز ١٠ مليارات دولار، مع نسب تغطية فاقت ٣ أضعاف في العديد من الإصدارات، طبقاً لبيانات بورصة لندن (LSEG)؛ ما يعكس شهية استثمارية عالية.

١- الريادة الآسيوية: برزت دول إسلامية آسيوية كرواد بتطوير أطر تنظيمية، وإطلاق إصدارات سيادية، وبناء منظومة مؤسسية، بدعم من بنوكها المركزية وهيئات الأوراق المالية عبر حوافز تنظيمية وضريبية.

٢- النمو المتسارع في المنطقة العربية: شهدت المنطقة العربية، وخاصة الخليجية، قفزة نوعية في الإصدارات الخضراء؛ ما يعكس توجهها نحو تنويع الدخل والتحول الأخضر، وترسيخ مكانتها كمراكز مالية إسلامية، وشملت الإصدارات كيانات حكومية وخاصة في قطاعات الطاقة المتجددة وكفاءة الطاقة.

٣- إصدارات المؤسسات متعددة الأطراف: اضطلعت مؤسسات كالبنك الإسلامي للتنمية بدور ريادي بإصدارات خضراء مقومة بعملات متعددة، استقطبت طلباً كبيراً، ووجهت عائداتها لتمويل مشاريع بيئية في دول أعضاء؛ ما نشر الوعي ونقل الخبرات.

آليات عمل الصكوك الخضراء في تمويل المشاريع البيئية:

١- نموذج الإجارة: يستخدم لتمويل الأصول الثابتة (كالألواح الشمسية) ببيع الأصل لصندوق الصك ثم استئجاره، وتوزيع الأجرة كعائد على حملة الصكوك، وهو الأكثر شيوعاً ووضوحاً شرعاً.

٢- نموذج الاستصناع: يستخدم لتمويل بناء مشاريع جديدة (كمحطات الطاقة)، بالاتفاق على صنع سلعة بمواصفات محددة لتسليمها مستقبلاً، ويناسب مشاريع البنية التحتية التي تحتاج فترة إنشاء.

٣- نموذج المشاركة (المضاربة أو الشركة): يستخدم حيث يبرز الجانب الاستثماري والمشاركة، فيدخل حملة الصكوك كممولين (رب المال) ويدير مضارب المشروع مقابل حصة من الربح، محققاً أعلى درجات التوافق مع روح التمويل الإسلامي.

أنماط تجارب الصكوك الخضراء في العالم الإسلامي:

تنقسم تجارب الصكوك الخضراء في الدول الإسلامية إلى ٣ فئات عريضة: فئة أولى تتمثل في شركات الطاقة المتجددة التي أصدرت صكوكاً لمشروعات شمسية، خضعت لتقييم خارجي مستقل وأثمرت عن خفض ملموس في الانبعاثات، وفئة ثانية تخص الحكومات التي طرحت صكوكاً سيادية خضراء، ربطتها بأهدافها المناخية الوطنية، ووجَّهت حصيلتها إلى مجالات متعددة كالتكيف مع المناخ والنقل المستدام، أما الفئة الثالثة فتشمل شركات خاصة أصدرت صكوكاً خضراء بهدف توسعة مشاريعها البيئية وإعادة تمويل ديونها القائمة، وقد لاقت هذه الإصدارات طلباً استثمارياً واسعاً.

التحديات والفرص التي تواجه الصكوك الخضراء في الدول الإسلامية:

تواجه الصكوك الخضراء تحديات رئيسة: غياب معايير موحدة، وخطر «الغسل الأخضر»، وندرة الكوادر المتخصصة، وارتفاع تكاليف الإصدار، وضعف الوعي في بعض الأسواق.

ولتجاوز ذلك، يُوصى بتطوير أطر تنظيمية وطنية وإقليمية، وتعزيز الرقابة المستقلة، وبناء القدرات، والاستفادة من التقنيات المالية الحديثة كالبلوكشين، وتقديم حوافز ضريبية، وتوسيع نطاق المشاريع المؤهلة لتشمل إدارة النفايات والزراعة المستدامة.

لقد أثبتت الصكوك الخضراء جدارتها كأداة مالية إسلامية مبتكرة لتمويل المشاريع البيئية، جامعة بين مبادئ التمويل الأخلاقي الإسلامي ومتطلبات التمويل الأخضر؛ ما يجذب مستثمرين يبحثون عن عوائد مالية وأثر بيئي إيجابي معاً، لكن الطريق لا يزال طويلاً لتوحيد المعايير وتوسيع النطاق وبناء القدرات، ومعالجة تحديات «الغسل الأخضر» وضمان الشفافية سيكون حاسماً لاستمرار الثقة والنمو.

إن الصكوك الخضراء ليست مجرد خيار تمويلي بديل، وإنما محرك إستراتيجي لتحقيق تحول بيئي عادل ومستدام يتوافق مع قيم الدول الإسلامية وهويتها، ويبني مستقبلاً أفضل للأجيال القادمة. ■

(أمم) متحدة !!
UN
دماء وأشلاء مسلمين

ترامب : لولاي لما كانت إسرائيل موجودة الآن !
October
آثار طوفان الأقصى

2

السياسة الإيرانية تجاه الخليج العربي..
الجذور التاريخية والتحـــولات المعاصرة

أ.د. فرست مرعي
كاتب وأكاديمي عراقي

بداية الدولة الأفشارية:

مع سقوط الصفويين وظهور الدولة الأفشارية بقيادة نادر شاه (١٧٣٧ – ١٧٤٧م)، شهدت إيران مرحلة من التوسع العسكري ومحاولة استعادة النفوذ الإقليمي، وقد أدرك نادر شاه الأهمية الإستراتيجية للخليج العربي، فسعى إلى بناء قوة بحرية إيرانية قادرة على منافسة القوى الأوروبية والعثمانية، كما حاول فرض النفوذ الإيراني على السواحل والجزر الخليجية، إلا أن مشروعه واجه عقبات كبيرة بسبب ضعف الخبرة البحرية الإيرانية واعتمادها على عناصر أجنبية، فضلاً عن الرفض العربي المحلي لأي وجود توسعي إيراني.

ورغم نجاح نادر شاه في تحقيق بعض الانتصارات العسكرية، فإن الدولة الأفشارية لم تتمكن من وقف التمدد الروسي في مناطق القوقاز وبحر قزوين، حيث استمرت روسيا في تعزيز نفوذها السياسي والعسكري مستفيدة من الاضطرابات الداخلية الإيرانية، وقد أظهر هذا الوضع التفاوت الواضح بين الحزم الإيراني تجاه الخليج العربي والضعف النسبي أمام روسيا القيصرية التي كانت تمتلك تفوقاً عسكرياً وتنظيمياً كبيراً.

أما في العهد الزندي، فقد حاول كريم خان زند (١٧٥١ – ١٧٩٦م) إعادة الاستقرار إلى إيران بعد سنوات من الفوضى والصراعات الداخلية، وركز اهتمامه على تنشيط التجارة البحرية وتعزيز الحضور الإيراني في الخليج العربي، وفي هذا السياق اتجهت الدولة الزندية إلى التدخل المباشر في الشؤون الخليجية، وكان أبرز مظاهر ذلك احتلال البصرة عام ١٧٧٥م بعد حصار طويل قادته القوات الزندية ضد المدينة العربية التابعة للدولة العثمانية آنذاك.

وقد شكّل احتلال البصرة حدثاً مهماً في تاريخ الخليج العربي، إذ سعت الدولة الزندية من خلاله إلى السيطرة على التجارة البحرية وتحويل طرق التجارة الخليجية نحو الموانئ الإيرانية، إضافة إلى إضعاف النفوذ العثماني في المنطقة، غير أن الاحتلال الزندي للبصرة واجه رفضاً واسعاً من السكان المحليين والقبائل العربية التي تضررت مصالحها التجارية والاقتصادية، كما أدى إلى اضطرابات كبيرة أثرت على الحركة التجارية في الخليج، ولم يستمر الاحتلال طويلاً، إذ اضطرت القوات الزندية إلى الانسحاب بعد وفاة كريم خان زند وتراجع قوة الدولة.

الدولة القاجارية.. عين على الخليج:

وفي العهد القاجاري (١٧٩٦ – ١٩٢٥م)، استمرت إيران في تبني سياسة تهدف إلى الحفاظ على النفوذ في الخليج العربي، لكنها واجهت واقعاً جديداً تمثل في صعود النفوذ البريطاني وسيطرة روسيا القيصرية على أجزاء واسعة من القوقاز وآسيا الوسطى، وقد تعرضت الدولة القاجارية لسلسلة من الهزائم العسكرية أمام روسيا خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر؛ ما أدى إلى توقيع معاهدات قاسية مثل معاهدتي كلستان وتركمانجاي (١٨٢٨م)، تنازلت إيران لروسيا عن خانية إيروان (أرمينيا الحالية)، وخانية نخجوان، وأجزاء من أذربيجان، وتم ترسيم الحدود بين البلدين عند نهر أراس، فيما التزمت الدولة القاجارية بدفع تعويضات باهظة لروسيا تُقدر بـ٢٠ مليون روبل فضي.

ويكشف هذا التراجع أمام روسيا القيصرية عن خلل عميق في بنية الدولة القاجارية، التي عانت من ضعف المؤسسة العسكرية والانقسامات الداخلية والتبعية الاقتصادية.

وفي الوقت الذي كانت فيه إيران تفقد أراضيها الشمالية لصالح الروس، كانت تحاول في المقابل الحفاظ على حضورها في الخليج العربي عبر إثارة مطالب تاريخية في البحرين والسواحل العربية والسعي إلى

تعزيز النفوذ في الموانئ الخليجية.

وقد أسهم هذا التناقض في تشكيل صورة تاريخية للسياسة الإيرانية تقوم على إظهار القوة تجاه المحيط العربي الأضعف نسبياً، مقابل تقديم تنازلات أو إظهار عجز أمام القوى الكبرى مثل روسيا وبريطانيا.

كما أن استمرار محاولات السيطرة على الخليج العربي عبر مختلف العهود الإيرانية يعكس الأهمية الإستراتيجية التي أولتها الحكومات الإيرانية لهذه المنطقة بوصفها بوابة اقتصادية وعسكرية ومجالاً حيوياً لتحقيق النفوذ الإقليمي.

وخلال القرن التاسع عشر، ازدادت أهمية الخليج العربي بالنسبة لإيران مع تصاعد التنافس الدولي بين بريطانيا وروسيا، وقد حاولت الدولة القاجارية تقديم نفسها باعتبارها صاحبة نفوذ تاريخي في الخليج، في وقت كانت فيه بريطانيا تعزز علاقاتها مع مشيخات الساحل العربي.

كما بدأت تظهر ملامح النزعة القومية الفارسية الحديثة التي اعتبرت الخليج جزءاً من المجال القومي الإيراني، وهي الفكرة التي ستتطور لاحقاً بصورة أكثر وضوحاً في العهد البهلوي.

قيام الدولة البهلوية الفارسية:

ومع وصول البهلويين إلى الحكم (١٩٢٥ – ١٩٧٩م)، دخلت إيران مرحلة جديدة اتسمت بتبني مشروع قومي فارسي مركزي قائم على التحديث السياسي والعسكري والثقافي، وقد سعى رضا شاه إلى بناء دولة قوية تقوم على الهوية الفارسية؛ الأمر الذي انعكس بصورة مباشرة على القوميات غير الفارسية داخل إيران، وفي مقدمتها العرب في الأحواز وعربستان.

وفي هذا السياق، ألغيت أشكال الحكم المحلي العربي، وتم إنهاء نفوذ الشيخ خزعل الكعبي عام ١٩٢٥م، الذي كان يمثل رمزاً للحكم العربي في الأحواز، بعد أن نجحت القوات الإيرانية في السيطرة على الإقليم بالقوة وفرض الإدارة المركزية عليه.

ومنذ ذلك الحين، بدأت سياسات «التفريس» بصورة منظمة، حيث جرى تغيير الأسماء العربية للمدن والقرى، حيث غيرت اسم «عربستان» إلى خوزستان، واسم «المحمرة» إلى «خرمشهر»، وفرض اللغة الفارسية في التعليم والإدارة، وتقليص الحضور الثقافي العربي، إضافة إلى سياسات هدفت إلى تغيير البنية السكانية عبر تشجيع انتقال السكان الفرس إلى المناطق العربية.

وقد ارتبطت هذه السياسات برغبة الدولة البهلوية في تعزيز الهوية القومية الإيرانية ومنع أي نزعات انفصالية أو عربية في المناطق الحدودية المطلة على الخليج.

زيادة النفوذ الإيراني على الخليج:

وفي عهد محمد رضا شاه (١٩٤١ – ١٩٧٩م)، ازدادت الطموحات الإيرانية في الخليج العربي بصورة واضحة، خاصة بعد الانسحاب البريطاني من المنطقة في أواخر الستينيات وبداية السبعينيات.

فقد تبنت إيران سياسة تقوم على ممارسة دور القوة الرئيسة في الخليج بدعم أمريكي وغربي، واعتبرت نفسها الوريث الطبيعي للنفوذ في المنطقة، وفي هذا الإطار احتلت إيران الجزر الإماراتية الثلاث عام ١٩٧١م، في خطوة عكست الرؤية الإيرانية القائمة على توسيع النفوذ الإقليمي والسيطرة على الممرات الإستراتيجية.

كما برزت خلال تلك المرحلة محاولات إيرانية لتعزيز النفوذ في البحرين، إذ استندت بعض الخطابات الإيرانية إلى ادعاءات تاريخية تعتبر البحرين جزءاً من الأراضي الإيرانية.

ورغم أن إيران اضطرت لاحقاً إلى الاعتراف باستقلال البحرين عام ١٩٧٠م بعد ضغوط دولية واستفتاء أممي أظهر رغبة البحرينيين في الاستقلال، فإن قضية البحرين بقيت حاضرة في بعض الخطابات القومية الإيرانية؛ ما أثار مخاوف خليجية مستمرة من الطموحات الإيرانية في المنطقة.

ورغم سقوط النظام البهلوي عام ١٩٧٩م، وقيام الجمهورية الإسلامية، فإن كثيراً من ملامح السياسة الإيرانية تجاه الخليج والعرب استمرت بأشكال مختلفة، فبدل الخطاب القومي الفارسي التقليدي، ظهرت لغة جديدة تقوم على البعد الأيديولوجي والثوري، لكن فكرة النفوذ الإقليمي بقيت ثابتة، كما استمرت معاناة العرب في الأحواز

مع سقوط الصفويين وظهور الدولة الأفشارية شهدت إيران توسعاً عسكرياً ومحاولة استعادة النفوذ الإقليمي

في العهد القاجاري استمرت إيران في تبني سياسة تهدف إلى الحفاظ على النفوذ في الخليج العربي

مع وصول البهلويين تبنت إيران مشروعاً قومياً فارسياً قائماً على التحديث السياسي والعسكري والثقافي

بعد قيام الجمهورية الإسلامية تبدل الخطاب القومي الفارسي وظهرت لغة تقوم على البعد الأيديولوجي والثوري

تتبع الجذور التاريخية للسياسة الإيرانية تجاه العرب يرتبط برؤية تعتبر الخليج مجالاً حيوياً للنفوذ الإيراني

من التهميش السياسي والثقافي والاقتصادي، مع استمرار السياسات التي تحد من استخدام اللغة العربية وتعزز الهيمنة المركزية للدولة الإيرانية.

خلاصة السياسة الإيرانية تجاه الخليج:

إن تتبع الجذور التاريخية للسياسة الإيرانية تجاه العرب والخليج العربي يكشف أن الصراع لم يكن مجرد خلاف سياسي عابر، بل يرتبط برؤية تاريخية طويلة تعتبر الخليج مجالاً حيوياً للنفوذ الإيراني.

وقد اختلفت الأدوات والشعارات بين الصفويين والقاجاريين والبهلويين والجمهورية الإسلامية، لكن الهدف المرتبط بتعزيز السيطرة والنفوذ بقي حاضراً بدرجات متفاوتة، وفي المقابل، أسهمت هذه السياسات في تعميق حالة الشك والتوتر بين إيران والدول العربية الخليجية، التي ما تزال تنظر بقلق إلى أي مشروع إيراني يسعى إلى إعادة تشكيل موازين القوى، ويمكن ملاحظة أن السياسة الإيرانية، عبر مختلف مراحلها التاريخية، اتسمت بمحاولة مستمرة لإدارة اختلال ميزان القوى مع الفاعلين الدوليين الكبار، سواء في الماضي مع روسيا القيصرية خلال العهد القاجاري والسوفييتي والبريطاني والأمريكي حسب التسلسل التاريخي خلال العهد البهلوي، أو في الحاضر مع الولايات المتحدة الأمريكية بوصفها القوة الأكثر تأثيراً في النظام الدولي.

إيران والخليج اليوم.. صراع مباشر:

وفي الحالتين، لم يكن ميزان الصراع مباشراً دائماً على مستوى المواجهة التقليدية، بل اتخذ أشكالاً متعددة من الضغط والتنافس غير المتكافئ؛ وصل أخيراً إلى الحرب المباشرة ابتداء من يونيو ٢٠٢٥م وإلى الوقت الحاضر، قبل أن كانت حروباً غير مباشرة عن طريق وكلائها في المنطقة من قبيل «حزب الله» اللبناني، والمليشيات الولائية العراقية، والحوثية في اليمن، وغيرها.

وفي هذا السياق، تتجه إيران اليوم إلى توظيف المجال الإقليمي، وخاصة الساحة الخليجية، باعتباره فضاءً إستراتيجياً لإعادة بناء النفوذ وموازنة الضغوط الدولية، سواء من خلال السياسات الإقليمية أو أدوات التأثير غير المباشر.

وهذا النمط من السلوك يختلف في أدواته عن الصراعات التاريخية، لكنه يعكس استمرار فكرة البحث عن عمق إستراتيجي في الجوار الإقليمي عند مواجهة قوى كبرى تفوقها في القوة الشاملة.

ومن جهة أخرى، تشهد المنطقة العربية عموماً حالة من تراجع الدور الإقليمي التقليدي لبعض القوى العربية الكبرى؛ ما أدى إلى إعادة توزيع موازين التأثير في الشرق الأوسط لصالح قوى إقليمية أكثر نشاطاً في إدارة الصراعات والتأثير في الملفات الأمنية.

وفي هذا الإطار، يبدو الخليج العربي في قلب التفاعلات الجيوسياسية، باعتباره نقطة التقاء بين النفوذ الإيراني والوجود الأمريكي والتحولات في النظام الإقليمي العربي.

وبذلك يمكن فهم المشهد الحالي ليس بوصفه تكراراً مباشراً للتاريخ، بل باعتباره استمراراً لتحولات بنيوية في موازين القوى الإقليمية والدولية، حيث تتغير الأدوات والفاعلون، بينما يبقى جوهر الإشكالية مرتبطاً بإدارة التوازن بين قوى دولية كبرى ومجال إقليمي عربي يشهد تفاوتاً في مستويات النفوذ والتأثير، في المنطقة على حساب الهوية العربية والأمن الخليجي. ■

المنسق الأوروبي بدار الإفتاء البلغارية الشيخ مصطفى إزبيشتالي لـ«المجتمع»:

رسخنا الحضور المؤسسي للجاليات المسلمة البلغارية بأوروبا

في تحوّل يعكس انتقال العمل مع الجاليات المسلمة البلغارية في أوروبا من مرحلة التواصل إلى البناء المؤسسي، تكشف تجربة دار الإفتاء العامة في بلغاريا خلال السنوات الثلاث والنصف السنة الماضية عن نموذج متكامل يعيد صياغة العلاقة مع المهجر، قائم على استعادة الثقة، وتأسيس الجمعيات، وإطلاق مشروعات تعليمية ودينية، وصولاً إلى بلورة حضور أوروبي منظم.

هذا التحول لم يكن مجرد استجابة للهجرة التي تسارعت منذ انضمام بلغاريا إلى الاتحاد الأوروبي عام ٢٠٠٧م، بل جاء إدراكاً بأن التحدي الحقيقي يكمن في الحفاظ على الهوية الدينية والثقافية للأجيال الجديدة؛ ما دفع إلى بناء شبكة ممتدة عبر عدة دول أوروبية تتجه تدريجياً نحو بنية مؤسسية متماسكة.

ويكشف هذا الحوار لـ«المجتمع» مع الشيخ مصطفى إزبيشتالي، المنسق الأوروبي بدار الإفتاء العامة في بلغاريا، أن المشروع الأوروبي لم يعد مبادرات متفرقة، وإنما مسار إستراتيجي يرتكز على مؤسسات فاعلة ومراكز متعددة الوظائف، بهدف ترسيخ الهوية وتعزيز حضور المجتمع المسلم البلغاري بشكل منظم داخل الفضاء الأوروبي.

حوار- هانى صلاح:

● بعد استحداث منصب المنسق الأوروبي قبل ٣ سنوات، ما أبرز النتائج الملموسة التي تحققت حتى اليوم على مستوى التواصل مع الجاليات المسلمة البلغارية في دول الاتحاد الأوروبي؟

– تم خلال السنوات الثلاث والنصف السنة الماضية بناء شبكة تواصل مستدامة ومنظمة مع المجتمعات المسلمة البلغارية في عدد من الدول الأوروبية، أبرزها إسبانيا، وبريطانيا، وألمانيا، وفرنسا وبلجيكا، وشهدت هذه المرحلة تنظيم لقاءات دورية مع ممثلي الجاليات، والعلماء، والنشطاء؛ ما ساهم في تعزيز التنسيق وتبادل المعلومات بشكل فعّال.

كما تم إنشاء قنوات اتصال دائمة عبر المنصات الرقمية، إلى جانب صيغ تشاورية وزيارات ميدانية منتظمة، وكان أبرز إنجاز تحقق استعادة الثقة لدى أبناء الجالية في الخارج، وتعزيز شعورهم بوجود دعم مؤسسي حقيقي من دار الإفتاء.

● كم عدد الدول التي تم الوصول إليها فعلياً؟ وكم منها شهد تأسيس جمعيات رسمية للجالية المسلمة البلغارية؟ وما طبيعة الدور الذي تقوم به هذه الجمعيات على أرض الواقع؟

– تم حتى الآن بناء تواصل نشط مع ٥ دول أوروبية تضم أكبر تجمعات المسلمين من بلغاريا، وهي: إسبانيا، وألمانيا، وبريطانيا، وبلجيكا وفرنسا، وفي هذه الدول تم بالفعل تأسيس جمعيات ومنظمات رسمية للمجتمع المسلم البلغاري.

وتؤدي هذه الجمعيات دوراً محوريا كمراكز دينية وثقافية واجتماعية، حيث تنظم الشعائر والمناسبات الدينية، وتطلق برامج تعليمية، ودورات في اللغة البلغارية، إلى جانب دعم الأسر الجديدة الوافدة، كما تمثل هذه المؤسسات جسراً مهماً للتواصل بين الجالية والجهات الرسمية في الدول المضيفة؛ بما يعزز حضورها المنظم ويمنحها صوتاً مؤثراً.

● فيما يتعلق بمشروعات المساجد والمراكز التعليمية، ما أبرز المبادرات التي تم إطلاقها؟ وأين وصلت حالياً، خصوصاً مشروع فرنسا؟ وما الذي يميّز هذه التجارب؟

– من أبرز المبادرات التي تم العمل عليها إنشاء مراكز متعددة الوظائف تجمع بين أماكن الصلاة، وقاعات التعليم، ومساحات الأنشطة الثقافية، وقد تم بالفعل تأمين مقرات مناسبة في عدد من الدول مثل إسبانيا، وبريطانيا وألمانيا.

أما في فرنسا، فيجري حالياً العمل على مشروع مهم يتمثل في إطلاق حملة لجمع التبرعات لشراء مبنى مكوّن من ٤ طوابق، ليكون مسجداً ومركزاً ثقافياً متكاملاً، وتمتاز هذه المشاريع بأنها لا تقتصر على الجانب الديني فقط، بل تؤسس لنموذج مجتمعي متكامل يربط العبادة بالتعليم والثقافة، ويخلق بيئة حاضنة تعزز الانتماء وتدعم الاستقرار الأسري للأجيال الجديدة.

● ما أبرز التحديات التي تواجه الجاليات المسلمة البلغارية في الحفاظ على الهوية الدينية والثقافية لأبنائهم في المهجر؟ وكيف تتعامل دار الإفتاء مع هذه التحديات عملياً؟

– تتمثل أبرز التحديات في ضغوط الاندماج التي قد تؤدي إلى الذوبان الثقافي، وفقدان اللغة، وضعف الارتباط بالتقاليد، إلى جانب انشغال الأسر بأعباء العمل، ما يحد من قدرتها على المتابعة التربوية، كما يواجه الجيل الجديد حاجة حقيقية لإيجاد توازن بين واقعه الأوروبي وجذوره الدينية والثقافية.

وفي مواجهة ذلك، تعمل دار الإفتاء على تطوير مدارس نهاية الأسبوع، وبرامج تعليمية عبر الإنترنت، ودورات في التعليم الديني واللغة البلغارية، إضافة إلى تنظيم ورش أسرية، مع إيلاء اهتمام خاص بفئة الشباب باعتبارهم محور المرحلة القادمة وصنّاع استمرارية الهوية.

● كيف ترون المرحلة القادمة من هذا المشروع؟ وما رؤيتكم الإستراتيجية لتوسيع الحضور المؤسسي للجاليات المسلمة البلغارية في أوروبا خلال السنوات المقبلة؟

– تركز المرحلة المقبلة على تعزيز الاستدامة المؤسسية وتطوير الكوادر، إلى جانب الارتقاء بمستوى الاحتراف في إدارة الجمعيات القائمة، وتشمل الرؤية التوسع نحو دول أوروبية جديدة، وإنشاء مراكز إقليمية، وتأهيل قيادات شابة، وتعزيز مشاركة المرأة في العمل المجتمعي.

كما يجري العمل على إنشاء منصة أوروبية موحدة للتنسيق بين منظمات المسلمين من بلغاريا، بما يمهد لتشكيل إطار جامع يعكس وحدة المجتمع المسلم البلغاري في أوروبا، ويؤسس لحضور مؤثر، ومنظم، وقادر على الحفاظ على هويته والمساهمة الإيجابية في المجتمعات التي يعيش فيها. ■

13

مسلمون خلف الذاكرة

جرائم الشيوعية المروعة في فيتنام.. دفنُ المسلمين أحيـاء لكنهم تشبثوا بدينهم!

شعبان عبدالرحمن
مدير تحرير «المجتمع» الكويتية، و«الشعب» المصرية- سابقاً

منذ استيلاء الشيوعيين على مقاليد الحكم في فيتنام الشمالية عام ١٣٩٥هـ/ ١٩٧٣م وإسقاط دولة «تشامبا» المسلمة؛ ازداد الاضطهاد الواقع على المسلمين، وارتفعت وتيرة المذابح بحقهم، وسط حالة مريرة من العداء، ومثال ذلك تلك المذبحة المروعة التي اقترفها الشيوعيون بمدينة «هوى بص»؛ حيث أمضوا ٢٠ يوماً في دفن الآلاف من المسلمين وغيرهم وهم أحياء (وأدهم)؛ ما آثار الرعب بين المسلمين، ففر مئات الآلاف من ديارهم إلى بلدان أخرى.

وبعد إحكام قبضتهم على البلاد، لجأ الشيوعيون لأسلوب يشيب له الولدان من الإبادة؛ إذ أنشؤوا ٧٠ سجناً ضخماً موزعة في أنحاء البلاد، وأطلقوا عليها اسم «مراكز الإصلاح والتكوين»! وزجوا فيها الآلاف حيث يمكثون في أهوال تلك السجون دون الإفراج عنهم إلا إذا تأكدت إدارة السجن من أن عدداً منهم بات يشرف على الموت، فيطلقون سراحهم ليتولى ذووهم وأهلوهم تجهيز جنازاتهم حسب تقاليدهم المحلية، رافعين عناء ذلك عن إدارة السجن!

وتذكر بعض المصادر أن الشيوعيين حوّلوا المساجد والمدارس الإسلامية إلى وحدات صحية وإدارات محلية على غرار ما يفعله الحكم الشيوعي في بلاد أخرى، بينما أبقوا على المسجد الجامع في العاصمة «سايجون» ليصلي فيه رجال السياسة الزائرون للبلاد، في حين لا يسمح للمسلمين بأداء صلواتهم بشكل طبيعي، فقد اشترطوا عليهم ألا تقام صلاة الجمعة في الجامع إلا بعد الحصول على تصريح مسبق من الشرطة، وتسجيل أسماء الذين سيحضرون الصلاة وعناوينهم، مع التشديد على وجوب الحصول على هذا التصريح أسبوعياً.

وغني عن البيان، قامت السلطات بالقبض على جميع أئمة المساجد، وقتلهم بحجة أنهم رفضوا رفع صورة الزعيم الصيني هوتش منه في مساجدهم! وتلك واقعة تؤكد وحشية النظام الحاكم وإصراره على إرغام الشعب على تأليه حكامه بالقوة، وتبين تلك الواقعة في الوقت نفسه مدى تشبث المسلمين وخاصة أئمة المساجد بدينهم.

حرب فيتنام:

وقد اكتوى المسلمون بنيران حرب فيتنام (١٩٤٥-١٩٤٦م) ونتائجها كبقية الفئات، وتعرض مسلمو فيتنام الجنوبية للتصفيات الجسدية على أيدي الشيوعيين من فيتنام الشمالية الشيوعية بعد سقوط سايجون عام ١٩٧٥م، وتم زج الباقين منهم، وهم يعدون بمئات الآلاف في السجون، وفي مقدمتهم أئمة المساجد وكبار الشخصيات ورجال الإعلام، كما قام الشيوعيون بالاستيلاء على عدد من المساجد والمدارس القرآنية ووحدات صحية وممتلكات بعض الجمعيات الإسلامية.

وهكذا قاسى المسلمون في فيتنام الشمالية خلال العهدين الملكي والشيوعي من حملات متواصلة من الاضطهاد والتنكيل؛ ما أدى إلى تردي أوضاعهم بعد زوال دولتهم «تشامبا» تماماً!

وعمد الشيوعيون إلى تقطيع أواصر الصلة بين من تبقى من المسلمين داخل فيتنام، كما طبقوا السياسة الشيوعية المعروفة بحجب أي أخبار، بل وأي معلومات عن أحوال المسلمين وأوضاعهم الداخلية عن العالم، وقد سهل ذلك للحكومة الشيوعية لتواصل حملات التنكيل والإبادة دون أن يدري العالم عنهم شيئاً.

وظلت الدول الإسلامية والعربية بمعزل عن أخبارهم، خاصة أن بعض تلك الدول احتفظ بعلاقات صداقة مع حكومات فيتنام الشيوعية المتعاقبة، بل كانت السياسات الشيوعية لتلك الحكومات تتبنى النهج الشيوعي للحكومة الفيتنامية!

وتشير بعض المصادر إلى أن عدد مسلمي فيتنام كان قبل حرب فيتنام (١٩٤٥-١٩٤٦م) أكثر من مليوني مسلم، وكان فيها قرى ومناطق لا يسكنها غير المسلمين، ولكن الحرب الضارية التي شنها عليهم البوذيون ثم الشيوعيون اضطر معظمهم إلى مغادرة فيتنام، ومات الكثير منهم أثناء الحرب، ثم انغلق من تبقى منهم في تجمعات متواضعة الحال.

واقع المسلمين وأوضاعهم اليوم:

واليوم، تضعضعت أحوال المسلمين هناك، وتناقصت أعدادهم؛ حيث يعيشون حالة متردية من الفقر المدقع، وتخلفاً في المجالات التعليمية والصحية، ولم يسمح لهم بالالتحاق بالكليات العسكرية، بل يتم استبعادهم كلياً من التجنيد، ويشتركون في ذلك مع غيرهم من أبناء البلاد بسبب الحكم الشيوعي المتوحش.

كما يعيشون حالة صعبة من الجهل بأبسط مبادئ الإسلام، إضافة إلى تعمد حرمانهم من التعليم، ذلك في الوقت الذي يعانون فيه من

وحشية الممارسات الشيوعية والبوذية؛ ما أدى إلى ذوبان أكثرهم في المجتمع الشيوعي البوذي وتحللهم من معظم الضوابط الإسلامية في تعاملاتهم وسلوكهم، بينما بقي عدد قليل منهم ثابتاً على دينه، ولله الحمد.

جمعية إسلامية وحيدة توثق الزواج وتشرف على المقبرة:

وهناك جمعية إسلامية وحيدة هي التي تمثل المسلمين ومرخص لها بالعمل من قبل الحكومة الفيتنامية، وتقع في مدينة «هوشي منه» (سايغون سابقاً)، وتنحصر جهودها في توثيق عقود النكاح والإشراف على المقبرة الإسلامية والمساجد التابعة لها، وتقوم بتنظيم الاحتفالات الرسمية كالاحتفال بالعيدين، ويدعى لهذه الاحتفالات رؤساء الطوائف الأخرى كالبوذيين وغيرهم، ويوماً بعد يوم تزداد مساحة الحرية والتسهيلات المقدمة لها.

ورغم أن الحكومة لا تمانع من تلقي هذه الجمعية للدعم الخارجي، فإنها تشترط قيام الجمعية باستئذان الجهات الرسمية ابتداء وانتهاء، وغالباً ما ينحصر الإذن الذي يعطى لها في مشروعات لا ترى الحكومة أن لها تأثيراً خارجياً، مثل شراء وتسوية المقبرة، أو إفطار الصائمين، أو مساعدة الفقراء والمحتاجين.

ونظراً لقلة عدد العلماء والدعاة من جهة، واستمرار الضغوط الشيوعية من جهة أخرى، انتشرت بين المسلمين ممارسات لا تتفق مع العقيدة الإسلامية الصحيحة المنطلقة من الكتاب والسُّنة، بينما يزداد ضعف معرفتهم بالإسلام؛ ما أثر كثيراً على صحة تأديتهم للشعائر الإسلامية، خاصة أن التواصل بينهم بات ضعيفاً وغير منتظم.

وأصبح الجيل الجديد بعيداً عن الإسلام؛ ما حرك بعض التجار من المسلمين الهنود لمواجهة هذا الخطر الذي يتهدد الإسلام والمسلمين في هذا البلد، فقاموا ببناء بعض المساجد، وعملوا على نشر الدعوة الإسلامية ومحاربة المعتقدات والتقاليد المخالفة للشريعة الإسلامية والمتنافية مع أخلاقياتها وآدابها.

احتياجات المسلمين:

ويمكن تلخيص احتياجات مسلمي فيتنام اليوم في:

- الحاجة الماسة إلى المساعدات المالية لتسيير متطلبات الحياة، ويتم سد جانب منها من الزكوات والصدقات.
- مساعدات للطلاب حتى يتمكنوا من مواصلة دراستهم.
- يحتاجون إلى نسخ من القرآن الكريم، وكذلك الكتب الإسلامية المترجمة.
- استقدام الدعاة والعلماء الذين يجيدون لغتهم.
- تبني فتح مدرسة تدرس المنهج الحكومي، إضافة للمنهج الشرعي، مع تقديم مساعدات للطلبة في كافة المراحل التعليمية لتشجيعهم على الاستمرار في الدراسة.
- كفالة منح دراسية للطلبة في الجامعات الإسلامية وفي كليات الشريعة بشكل خاص، وكفالة عدد من طلبة وخريجي الجامعات الإسلامية للعمل كدعاة.
- دعم حلقات تحفيظ القرآن الكريم في المساجد وكفالة من يديرها من المعلمين.

- ترميم المساجد القائمة، وبناء مساجد جديدة.

- استضافة أئمة المساجد وقيادات المسلمين هناك للحج إلى بيت الله الحرام، وكذلك التوسع في الأنشطة الموسمية لتوثيق الروابط مع مسلمي فيتنام.

ويعتمد المسلمون في تلقي تعليمهم الديني على مساجد ومراكز قليلة العدد، وهي تحتاج إلى المزيد من الدعم لتحسين أوضاعها، ومد الجسور بينهم وتثقيفهم ثقافة شرعية، تعالج ضعف معرفتهم بالدين الإسلامي وببعض أساسيات العبادات، في وقت يعانون فيه من أوضاع اقتصادية وصحية وتعليمية صعبة.

وفي الوقت نفسه، يعاني مسلمو فيتنام أيضاً من ضغوط اجتماعية وثقافية وتربوية ونفسية تسببها لهم الأغلبية البوذية، في الوقت الذي يحاولون فيه تلبية احتياجاتهم في تعلم الدين الإسلامي بشكل محدود عن طريق ماليزيا.

واليوم، وعلى الرغم من وجود ما ينص في دستور فيتنام على حرية العبادة، لم يتمكن المسلمون من الذهاب إلى الحج طوال ٢٠ عاماً مضت، وقد تم السماح لهم مؤخراً ولكن بشروط مشددة.

إنها قصة الإسلام في فيتنام الذي كانت له دولة «تشامبا»، ولكن تكالبت عليها كل القوى المعادية للإسلام حتى تم إسقاطها، وأصبح المسلمون ضعفاء، وفقراء، ثم حلت الشيوعية بنظامها الحديدي الأسود لتفعل بهم أفاعيلها.. لهم الله. ■

الإسلام في بوركينا فاسو..
تاريخ الانتشار وواقع المسلمين

تقرير- محمد الحداد:

بوركينا فاسو دولة حبيسة تقع في غرب أفريقيا في الحزام المسمى «دول الساحل»؛ أي ساحل الصحراء، تحدها ٦ دول، هي: مالي من الشمال، والنيجر من الشرق، وبنين من الجنوب الشرقي، وتوجو وغانا من الجنوب، وساحل العاج من الجنوب الغربي.

وتبلغ مساحتها ٢٧٤ ألف كيلومتر مربع، ويربو عدد سكانها على ٢١ مليون نسمة، وينتمون إلى أجناس عديدة، مثل الموسي الذين يشكلون نصف السكان تقريباً، والفلان والديولا والسامو والتنجا والسنوفو والطوارق، ولغاتها الرسمية الموري والبيسا والديولية والفولانية، بجانب اللغتين الرسميتين في المعاملات الحكومية الفرنسية والإنجليزية، وكانت تسمى «فولتا العليا» حتى عام ١٩٨٤م حين قام رئيس البلاد حينئذ توماس سانكارا بتغيير اسمها إلى بوركينا فاسو التي تعني «بلد الوجهاء».

دخول الإسلام وانتشاره

دخل الإسلام بوركينا فاسو متأخراً، وذلك في حدود القرن التاسع الهجري عن طريق التجارة، فقد كان التجار المسلمون الآتون من الشمال يجمعون بين التجارة والتعريف بالدين، وبالتالي كان الإسلام نخبوياً بدرجة كبيرة ينتشر في الوجهاء فحسب، ولم تقم مملكة إسلامية مبكرة في بوركينا فاسو أمثال جاراتها كممالك سونغاي ومالي ثم صكتّو حتى ينتشر الإسلام انتشاراً عاماً، وبقيت فيها ممالك تسمى ممالك موسي لمئات السنين.

فقد حافظت على معتقداتها بعيداً عن الإسلام باستثناء البعض ممن اعتنق الإسلام في البيت الحاكم في بعض الفترات؛ ولذا، فحتى القرن التاسع عشر الميلادي لم يكن في بوركينا فاسو سوى قرابة ٣٠ ألف مسلم فقط، لكن بحلول عام ١٩٥٩م كان هناك نحو ٨٠٠ ألف مسلم (٢٠٪ من السكان)، وما زال في ازدياد منذ ذلك الحين حتى وصل عام ٢٠٠٦م، حسب إحصاء حكومي، إلى ٦٠,٥٪، وليست في الوقت الحالي إحصاءات دقيقة لنسبة المسلمين هناك، لكنهم الآن أكثر مما سبق وبلا شك.

ويبدو أن الحالة النخبوية التي لازمت المسلمين في المرحلة الأولى من دخول الإسلام في هذا البلد هي ما جعلت تلك النخب تهوى الرحلة إلى العلم، وذلك ما يرجع إليه الفضل في تعلم الكثير من أبناء بوركينا فاسو اللغة العربية وعلوم الدين، فكثير منهم قد سافر إلى الدول العربية وشمال أفريقيا والمغرب العربي لينهل من العلم الشرعي ثم يعود داعية إلى الله تعالى، ثم يقومون بإنشاء مدارس إسلامية، فتطورت الدعوة الإسلامية بذلك تطوراً كبيراً.

وتشير الإحصاءات إلى أن ٦٣٪ من التلاميذ قد تعلموا باللغة العربية في مدارس دينية مجانية، وأن السكان، لا سيما المسلمين منهم، يفضلون العربية على الفرنسية لغة المستعمر، فبلغ عدد المدارس العربية في بوركينا فاسو في السنوات الأخيرة إلى أكثر من ٢١٠٠ مدرسة، تمثل نسبة ٧٠% من مجمل المدارس الخاصة في البلاد، ونسبة ٢٥% من مجمل المدارس الابتدائية (المديرية العامة للدراسات والإحصائيات القطاعية، وزارة التربية الوطنية والنهوض باللغات الوطنية، بوركينا فاسو، عام ٢٠٢٣م).

وفي البلاد قرابة ٥٠ ألف مسجد، وأكثر من ٣٠٠ جمعية إسلامية مرخصة من الدولة، وتنضم معظمها في «اتحاد الجمعيات الإسلامية في بوركينا فاسو الفيدرالية» (FAIB) تعمل في مجال الدعوة، وأكثر منها لم ترخص بعد.

ولديهم نظام قديم متوارث في طلب العلوم الشرعية نشأ مع وجود طبقة العلماء المعروفة باسم «كاراموكوس»، وفيها يتعلم الطالب القرآن والتفسير والحديث والسيرة واللغة العربية مع مدرس واحد على مدى فترة تتراوح ما بين ٥ سنوات إلى ٣٠ سنة، ويكسب رزقه في هذا الوقت عن طريق عمله بدوام جزئي في مزرعة أستاذه، وبعد الانتهاء من دراسته يحصل «كاراموكو» على إجازة بالتدريس لما تعلم، مع تعميمه بعمامة المشايخ في حفل تخرجه، ثم يبدأ التدريس في مدرسته الخاصة في قرية أخرى غير قريته.

تحديات تواجه المسلمين

وعلى الرغم من انتشار الإسلام وكثرة الوسائل المتاحة، فإن هناك تحديات كبيرة وعقبات في هذا الطريق؛ منها الفقر الذي يلقي بظلاله على كل شيء متعلق بالثقافة والتعليم، ويُلجئ كثيراً من الناس إلى بذل الأوقات في محاولة كسب ما يسد الرمق، وبالتالي ينتشر الجهل بحقائق الدين فضلاً عن الفقه فيه.

ومنها الاختلاط بغير المسلمين، الذي أورث الكثير من المسلمين عادات وثنية أو نصرانية والجهل بالعبادات والأحكام الشرعية، ثم كثرة التفرق والبُعد عن مظاهر الوحدة والاجتماع.

ومنها أن نحو ٥٥% من المدارس العربية في بوركينا فاسو لا تحظى باعتراف وزارة التعليم، على عكس المدارس الفرنسية التي يُقدم لها الدعم من الوزارة، وهذا ما يظهر في المدارس الفرنسية من حيث الاهتمام والتنظيم والإنفاق، بل إن جل المدارس العربية تعتمد على إنفاق بعض الطلاب مبالغ زهيدة للغاية إلى المعلم حتى يستطيع الاستكمال في التدريس.

ومن التحديات، أيضاً، أن الجمعيات الإسلامية ينالها مثل ما ينال من عموم الشعب من عدم وجود تمويل كاف، وبالتالي يكون معظمها لا أثر له في الواقع، بخلاف الجمعيات التي يقوم عليها النصارى أو الوثنيون، التي يقدم أكثرها خدمات حقيقية عن طريق بناء المستشفيات وتقديم المساعدات المالية والغذائية، وهو ما يساعد على نشر أفكارهم بين عموم الناس. ■

المدارس القرآنية في ساحل العاج.. تراث إسلامي مقدَّس

ساحل العاج، أو بالفرنسية «كوت دي ڤوار»، دولة في غرب أفريقيا، تحدها من الشرق غانا، ومن الشمال مالي وبوركينافاسو، ومن الغرب غينيا وليبيريا، ومن الجنوب المحيط الأطلسي، عاصمتها السياسية ياموسوكرو، والثقافية أبيدجان، لغتها الرسمية الفرنسية، ويتحدث عموم الناس لغات عدة، أوسعها انتشاراً الجولا والبمبارية، عدد سكانها ٣١ مليون نسمة، يشكل المسلمون منهم حسب آخر الإحصاءات الرسمية ٤٣%، وتوصلها الإحصاءات شبه الرسمية إلى قرابة ٦٠% وهو الأقرب للواقع.

تاريخ الإسلام في ساحل العاج:

عرفت ساحلُ العاج الإسلامَ في أزمنة متأخرة، وكان أولها عند دخول التجار المسلمين من الشمال الأفريقي، ثم اتَّقدت الشرارة الأولى للانتشار بين عموم الناس عند إسلام زعماء قبيلة الماندينغو في أوائل القرن الحادي عشر الميلادي، الذين استطاعوا تأسيس أول اجتماع للمسلمين في شمال ساحل العاج بعد إسلامهم بمدة يسيرة وقت استقلالهم عن مملكة غانة.

وتوالت الممالك الإسلامية الواصلة إلى تلك المنطقة، حتى حصل الحدث الأهم في تاريخ الإسلام في ساحل العاج بولادة المصلح الكبير ساموري توري عام ١٨٣٠م -على وجه التقريب- في غينيا، الذي سيكتب فصلاً جديداً من الوجود الإسلامي بتأسيسه ما يسمى سلطنة واسولو، التي امتدت عبر شمال وشرق غينيا الحالية، وشمال شرق سيراليون، وجنوب مالي، وشمال كوت ديفوار.

ورغم انحسار هذه الدولة سريعاً بسبب الاحتلال الفرنسي؛ فإن أثر توري في انتشار الإسلام بساحل العاج والارتباط الوثيق بين المسلمين فيها بمن حولهم ممن في الدول المجاورة؛ جعلته بطلاً عظيماً وملهماً لعموم المسلمين حتى الآن.

واقع التعليم الشرعي:

على كثرة الدوافع الموجودة عند عموم المسلمين الذين يتمسكون بالحفاظ على هويتهم في ساحل العاج؛ فإننا نستطيع القول بأن التعليم الشرعي في ساحل العاج لا يقوم إلا على جهود ذاتية لا تنافس التنظيم والترتيب الذي يلاقيه التعليم الرسمي، وذلك مما يظهر بأقل النظر والمقارنة بين الاثنين، فإن المدارس الرسمية المعتمدة على التعليم باللغة الفرنسية مخدومة من الدولة غاية الخدمة، فهي مدارس نظيفة مرتبة الأبنية ذات مظهر حسن وواسعة، بخلاف المدارس التي تدرس باللغة العربية؛ فإنها في معظمها مجرد غرف متناثرة في الأحياء، وأحياناً تكون مصلى لأهالي المنطقة أو في دور علوي لأحد المساجد.

وكذلك أيضاً يبذل الطلاب القادرون أجراً شهرياً رمزياً لاستمرارها، فلا يتلقى المعلم فيها أجراً ذا بال، بل يجتهد في العمل في عدة مدارس لسد بعض حاجاته الأساسية، وليست كل المدارس في حال واحدة، بل تتباين بشكل كبير سواء في المناهج أو طرق التدريس أو شمولها لسائر الأعمار.

المدارس والكتاتيب:

تنقسم المدارس التي تدرس القرآن وعلوم الشريعة في ساحل العاج إلى ٣ أقسام رئيسة:

١- مدارس على درجة عالية نسبياً من التنظيم، وهذه نادرة تكاد تعد على أصابع اليد الواحدة في عموم البلاد، وفيها يدرس الطالب اللغة العربية من مستوياتها الأولى وحتى إتقان قواعد الصرف والنحو والبلاغة وحفظ شيء يسير من الأدب العربي، مع دراسة القرآن وتجويده وتفسيره واثنتين من قراءاته على الأقل، مع دراسة العقيدة والفقه، وغالباً ما يصل الطلاب فيها إلى مراحل متقدمة حتى دخول الجامعة، وهي تجمع بين دراسة اللغتين العربية والفرنسية، حتى يُسمح للطالب فيما بعد الالتحاق بالجامعات التي تُدرس علوم الشريعة.

٢- مدارس أهلية، وهي أكثر من المدارس الأولى ودون الثالثة، وفيها يدرس الطالب مبادئ اللغة العربية والفقه والتوحيد والحديث والسيرة حسب منهج تعتمده الدولة، مع قدر يسير من القرآن، وكثيراً ما يدير تلك المدارس أساتذة صوفيون فيزيدون على ذلك المنهج أوراداً من الطريقة التيجانية أو القادرية.

٣- الكتاتيب؛ وهي أكثر انتشاراً من السابق ذكرها، ولا يكاد يخلو حي منها، وهي متواضعة للغاية، قد لا تزيد مساحتها على غرفة صغيرة يتكدس فيها عدد لا بأس به من الطلاب، لا سيما الصغار ممن دون العاشرة، وغالباً ما تكون رديفة لمصلى صغير، أو تكون هي في ذات المصلى، وأحياناً تكون بجانبه في العراء، وفيها يدرس الطلاب القراءة والكتابة من ملخصات صغيرة ينسخونها من كتاب لعدم استطاعتهم شراء الكتب، وغالباً ما تكون بطريقة القاعدة البغدادية أو حديثاً نور البيان، ويحفظون فيها قصار السور، مع تعليم كيفية الوضوء والصلاة.

ولا شك أن ما يحتاجه التعليم الشرعي في سائر بلاد المسلمين يكاد يتضاءل في جنب ما تحتاجه الدول الأفريقية، وتلك مسؤولية عظمى يجب أن تتضافر جهود المسلمين في شتى بقاع الأرض على القيام بها. ■

الضفة الغربية أمام أخطر مراحلها منذ 1967م.. من حرب الاستيطان إلى حرب الوجود

د. أمجد بشكار

أستاذ العلوم السياسية والدولية

لم تعد الضفة الغربية تعيش حالة تصعيد أمني عابرة، ولا مجرد موجة جديدة من الاقتحامات العسكرية أو التوسع الاستيطاني، وإنما أصبحت تواجه مشروعاً متكاملاً لإعادة تشكيل واقعها السياسي والديموغرافي والجغرافي.

وما يجري اليوم لم يعد يقتصر على السيطرة على الأرض، وإنما يمتد الآن إلى استهداف مقومات الحياة الفلسطينية نفسها، من المنزل إلى المزرعة ومن مصدر المياه إلى المراعي، ومن حرية الحركة إلى الوجود السكاني في مناطق واسعة من الضفة الغربية.

ولعل أخطر ما يميز المرحلة الحالية أن أدوات الضغط لم تعد تعتمد فقط على القوة العسكرية، بل أصبحت متعددة ومتزامنة، فهناك عمليات عسكرية متواصلة وتسارع في الاستيطان، وتصاعد في اعتداءات المستوطنين بشكل غير مسبوق، وهدم للمنازل والمنشآت واستهداف للقطاع الزراعي وإغلاق للطرق الرئيسة والفرعية، وفرض قيود على الوصول إلى مصادر المياه بما يجعل الحياة اليومية أكثر صعوبة، ويدفع كثيراً من التجمعات الفلسطينية خاصة في المناطق الريفية والبدوية إلى مواجهة خطر النزوح القسري.

ما يحدث اليوم في الضفة الغربية يمثل أخطر تحول ميداني منذ احتلال عام ١٩٦٧م، ليس فقط بسبب حجم العمليات العسكرية، بل لأن السياسات الحالية تستهدف إعادة رسم الخريطة على الأرض بطريقة قد تجعل أي تسوية سياسية مستقبلية أكثر تعقيداً.

اليمين «الإسرائيلي».. معركة فرض الوقائع:

منذ وصول الحكومة «الإسرائيلية» الحالية إلى السلطة في دولة الاحتلال، أصبح المشروع الاستيطاني أكثر حضوراً في القرار السياسي، ويعد الوزيران المتطرفان بتسلئيل سموتريتش، وإيتمار بن غفير، من أبرز الداعين إلى توسيع الاستيطان وتشديد السيطرة «الإسرائيلية» في الضفة الغربية،

> حكومة اليمين «الإسرائيلي» تدفع باتجاه توسيع الاستيطان وتكريس السيطرة على مساحات واسعة من الضفة

> استمرار الاستيطان والضغط الاقتصادي والإنساني يفتحان الباب أمام مزيد من التصعيد وعدم الاستقرار

الشاهد في الأمر أن السياسات التي يتبناها الائتلاف الحاكم تسعى إلى تقليص فرص قيام دولة فلسطينية مستقلة عبر تكريس وقائع جديدة على الأرض دون إمكانية تغييرها.

ومع اقتراب الاستحقاقات السياسية داخل دولة الاحتلال «إسرائيلية» يبرز ملف الضفة الغربية بوصفه أحد أهم ملفات التنافس داخل معسكر اليمين، حيث يُنظر إلى تشديد القبضة الأمنية بالمقام الأول، ومن ثم توسيع الاستيطان بشكل كبير باعتبارهما من القضايا التي تحظى بتأييد واسع لدى القاعدة الانتخابية اليمينية.

هدم البيـــــوت.. سياسة تتجاوز العقوبة:

لم يعد هدم المنازل الفلسطينية مجرد إجراء إداري أو أمني كما كانت الحكومات «الإسرائيلية» تصدّره على الدوام، بل تحول إلى إحدى أبرز أدوات تغيير الواقع الديموغرافي، ففي مختلف مناطق الضفة الغربية وخاصة في المناطق المصنفة «ج»، تتواصل عمليات هدم المنازل والمنشآت الزراعية والآبار والبركسات، والمصانع بذريعة عدم الترخيص، في وقت يواجه فيه الفلسطينيون قيوداً كبيرة على الحصول على تراخيص بناء.

ولا تقتصر آثار الهدم على فقدان المسكن، بل تمتد إلى تفكيك النسيج الاجتماعي وحرمان العائلات من الاستقرار، وهو ما دفع بعض السكان إلى مغادرة مناطقهم خصوصاً عندما تتكرر أوامر الهدم وتترافق مع قيود على إعادة البناء.

المياه.. معركة الحياة القادمة في الضفة الغربية:

باتت أزمة المياه في الضفة الغربية أخطر أدوات الصراع التي تستهدف الفلسطينيين في العديد من المناطق، بعدما أصبحت الينابيع والآبار هدفاً لاعتداءات المستوطنين بالتزامن مع القيود المفروضة على تطوير البنية التحتية المائية الفلسطينية.

تشهد قرى وبلدات فلسطينية اقتحامات متكررة ينفذها مستوطنون أهمها مجموعة «فتية التلال»، حيث تتم السيطرة على ينابيع المياه، ومنع المزارعين والرعاة من الوصول إليها وتخريب خطوط الضخ والخزانات، الأمر الذي بات يحرم آلاف المواطنين من مياه الشرب ويجبرهم على شراء المياه المنقولة بالصهاريج بأسعار باهظة، في وقت تعاني فيه المنطقة أصلاً من نقص حاد في

الموارد المائية.

لا يمكن فصل ما يجري عن المناخ السياسي الذي تفرضه حكومة اليمين «الإسرائيلي»، التي تتبنى سياسات داعمة للتوسع الاستيطاني، إذ يعتبرون أن استمرار الاعتداءات يشجع المستوطنين على توسيع السيطرة على الموارد الطبيعية، وفي مقدمتها المياه.

ما يحدث يجعل بقاء الفلسطيني في أرضه أكثر صعوبة يوماً بعد يوم، فالعائلات التي لا تجد مياهاً للشرب أو لري مزروعاتها تجد نفسها أمام واقع قاس يدفعها إلى النزوح من القرى والبلدات، وهو جزء من سياسة أوسع لإفساح المجال أمام المزيد من التوسع الاستيطاني.

وفي ظل استمرار هذه الممارسات الإجرامية التي أصبحت سلاحاً يُستخدم لإعادة رسم الجغرافيا والديموغرافيا في الضفة الغربية، وسط توقعات مؤكدة من أن استمرار السيطرة على الينابيع والآبار سيقود إلى أزمة عطش غير مسبوقة تهدد حق مئات آلاف الفلسطينيين.

الحرب على المزارع والرعاة:

الجدير بالذكر أنه في السنوات الأخيرة، امتدت هذه السياسة إلى قلب الريف الفلسطيني بعدما تعرض مزارعون ورعاة في مناطق مختلفة لاعتداءات شملت القتل والتخريب للمحاصيل من قطع الأشجار وسرقة أو نفوق مواشٍ في بعض الحوادث، ومنع الوصول إلى المراعي والأراضي الزراعية.

الهدف من ذلك سعي الاحتلال إلى إرهاق المجتمعات الريفية اقتصادياً بما يزيد من احتمالات ترك الأرض والانتقال إلى مناطق أخرى، ويرى عدد من الباحثين «الإسرائيليين» أنفسهم أن استهداف الاقتصاد الزراعي الفلسطيني يشكل أحد العوامل المؤثرة في تغيير الواقع السكاني في بعض المناطق.

الطرق المغلقة.. تفكيك الجغرافيا الفلسطينية:

إلى جانب العمليات العسكرية تشهد الضفة الغربية توسعاً في استخدام الحواجز والبوابات والإغلاقات التي تؤثر في حركة السكان والبضائع، ولا يقتصر أثر ذلك على الجانب الأمني، بل يمتد إلى الاقتصاد والتعليم والرعاية الصحية، إذ قد تستغرق الرحلات بين المدن والقرى أضعاف الوقت المعتاد.

ومع استمرار هذا الواقع، تصبح المدن الفلسطينية أكثر عزلة عن محيطها، ويزداد الضغط على الحياة الاقتصادية والاجتماعية.

فقد شهدت السنوات الأخيرة ارتفاعاً في عدد التقارير التي توثق اعتداءات نفذها مستوطنون ضد فلسطينيين وممتلكاتهم، بما في ذلك إحراق منازل ومركبات، والاعتداء على مزارعين، وإتلاف محاصيل، وإقامة بؤر استيطانية جديدة، وقد أثارت هذه الأحداث انتقادات من منظمات حقوقية محلية ودولية، التي دعت إلى حماية المدنيين ومحاسبة المسؤولين عن الانتهاكات، وغياب المحاسبة الفعالة شجع المستوطنين تكرار هذه الاعتداءات، لكي يزداد الشعور لدى الفلسطينيين بانعدام الأمن.

هل تتجه الضفة إلى مرحلة أكثر خطورة؟

في ظل استمرار العمليات العسكرية والتوسع الاستيطاني، والضغوط الاقتصادية والاجتماعية، تزداد التساؤلات حول مستقبل الضفة الغربية في ظل تعزيز الانتشار العسكري «الإسرائيلي» في معظم المناطق بالضفة الغربية التي تعكس توقعات باحتمال إعادة بوصلة المقاومة المسلحة طريقاً للحفاظ على مقومات الفلسطيني.

وفي المقابل، استمرار هذه الظروف قد يؤدي إلى تصاعد الاحتقان الشعبي، مع بقاء مستقبل المقاومة مرتبطاً بعوامل عديدة، منها التطورات الميدانية، والواقع السياسي الفلسطيني، والسياق الإقليمي والدولي.

لذا، فإن الضفة الغربية تقف اليوم أمام مرحلة شديدة الحساسية، فالتحديات لا تقتصر على المواجهات العسكرية بل تشمل الأرض والمياه والزراعة، والسكن، وحرية الحركة، والوجود السكاني فهذه السياسات المتبعة اليوم ستؤدي إلى تعميق الأزمة الإنسانية والسياسية، وإلى زيادة صعوبة الوصول إلى تسوية عادلة ومستدامة.

ويبقى مستقبل الضفة الغربية رهيناً بتطورات الميدان، وبقدرة المجتمع الدولي على الحد من التصعيد، وبإرادة الأطراف المختلفة في تجنب مزيد من التدهور، وحتى ذلك الحين، تظل الضفة الغربية ساحة مفتوحة لتحديات متزايدة تمس حاضر الفلسطينيين ومستقبلهم. ■

د.موسى منصور المزيدي
مدرب معتمد في المهارات الإدارية والقيادية

يوميـــات متقاعـد (5)

عيادة المرضى وسؤال العافية

في هذه السلسلة من المقالات، نستعرض بعض المواقف الحقيقية التي وقعت على أرض الواقع، بزمانها ومكانها وأشخاصها، مع الوقوف عند العِبرة المستفادة منها.

في السُّنة النبوية في علاج المرض.

وقبل أن أغادر، قال لي الأخ يوسف: أما سمعت حديث النبي صلى الله عليه وسلم: «إذا أحبَّ الله عبداً عسَّله»، قالوا: وما عسَّله يا رسولَ الله؟ قال: «يُوفِّقُ له عملاً صالحاً بين يدَيْ رِحلتِه حتّى يرضى عنه جيرانُه» (حديث صحيح).

كنت أعرف الحديث بلفظ: «استعمله»، لكنه أشار إلى أن بعض الروايات ورد فيها لفظ عسَّله، ويا لها من كلمة! أي: يوفقه لعمل صالح قبل أن يتوفاه، ثم يقبضه عليه.

فقلت: اللهم استعملنا قبل أن تقبضنا إليك بأعمال صالحة نختم بها حياتنا، اللهم إنا نسألك حسن الخاتمة.

كانت جلسة خفيفة، لطيفة، ظريفة، ومن الخطأ أن يزور الإنسان المريض ويجلس عنده ساعة أو ساعتين، ويتحدث طويلاً، ويطلب العصائر وغيرها؛ فكل ذلك قد يُتعب المريض.

الزيارة المثالية تكون من خمس إلى عشر دقائق، وبحد أقصى ربع ساعة، إلا إذا أصرّ المريض خلاف ذلك ولا يجد من يزوره.

فالحمد لله، كانت زيارة أسأل الله أن يتقبلها مني.

تاج العافية:

ننتقل إلى موقف آخر حدث في ٣٠ يناير ٢٠٢٥م، في هذا اليوم قررت أن أبقى في البيت للراحة، إذ ابتلاني الله بمرض في أحبالي الصوتية، وهذا بلاء ينبغي معه الصبر وسؤال الله العافية.

وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «سَلُوا اللهَ العفوَ والعافيةَ؛ فإن أحداً لم يُعْطَ بعد اليقين خيراً من العافية» (حديث صحيح)؛ والعافيةَ لا يشعر بقيمتها الإنسان إلا إذا فُقدت، فالعافية تاج لا يراه إلا المرضى فوق رؤوس الأصحاء.

أنا بصفتي أستاذاً جامعياً، ومحاضراً، ومدرّباً، لا أملك أداة أهم من صوتي؛ به أوصل أفكاري، وأقنع الآخرين برؤاي وأهدافي.

فجلست في البيت، لكنني استفدت من وقتي، وبدأت أقرأ كتاب «مختصر اللؤلؤ والمرجان» لمؤلفه محمد فؤاد عبدالباقي، الذي جمع فيه الأحاديث الصحيحة المتفق عليها بين البخاري، ومسلم، وعددها يقارب ألفي حديث.

وأخذت أسأل نفسي: هل يمكن إسقاط هذه الأحاديث على عالم التدريب؟ والإجابة: نعم، وبقوة.

فمثلًا: حديث «بُنِيَ الإسْلامُ على خَمْسٍ: شَهادَةِ أنْ لا إلَهَ إلّا اللَّهُ وأنَّ مُحَمَّداً رَسولُ اللَّهِ، وإقامِ الصَّلاةِ، وإيتاءِ الزَّكاةِ، والحَجِّ، وصَوْمِ رَمَضانَ»، سألت نفسي: ألا يمكن أن يكون في عالم التدريب خمسة أركان أساسية؟

واتضح لي أن علماء النفس والإدارة يتحدثون فعلاً عن خمس شخصيات رئيسة، فقلت: كما أن في الإسلام خمسة أركان، كذلك يمكن الحديث عن خمسة أركان في عالم التدريب.

وبينما كنت أبحث عن علاج لأحبالي الصوتية مما ألمّ بها، ذهبت إلى الصيدلية، وطلبت دواءً يعيد صوتي إليَّ، فأرشدني الصيدلاني إلى «عسل المانوكا»، استخدمته عدة أيام، ولكن بلا فائدة، فالصوت لم يعد، ثم جربت دواءً لإذابة البلغم، لكن دون فائدة.

استمرت الحالة أسبوعاً كاملاً، بلا صوت، ومع ذلك، التزمت بالصلاة في المسجد، حتى إن المؤذن والإمام كانا يسألانني: «إيه اللي حصل لصوتك؟»، فكنت أجيب بالإشارة: «ماكو صوت»!

وفي تلك الفترة، كان هناك إمام بديل، فأرسلت له رسالة نصح لطيفة: أن يبتعد عن الميكروفون، وألا يكرر الآيات، وألا يطيل الصلاة، خاصة الفجر.

فشكرني، والتزم بالنصيحة، وكان لذلك أثر طيب.. فهذه نصيحة تُقال، لا بقصد الانتقاد، بل لمصلحة الإمام والمصلين. ■

زيارة مريض:

نبدأ بهذا الموقف الذي حدث في ٢٧ يناير ٢٠٢٥م؛ حيث كان الأهل في البيت لديهم مريض في مستشفى جابر، ويرغبون بزيارته لمدة نصف ساعة أو أقل، وصادف في ذلك اليوم أن عزيزي وصديقي الغالي الأخ يوسف كان هو الآخر مريضاً في مستشفى جابر، فقلت: «يلا، هيا بنا؛ أنتِ تزورين صديقتك، وأنا أزور صديقي».

ذهبنا معاً إلى مستشفى جابر، وسألت عن غرفة أخي وعزيزي الغالي يوسف، فأرشدوني إليها، دخلت عليه، وما إن رآني حتى استبشر خيراً، وتهلل وجهه، وانشرح صدره، فعرفت أن زوّار صديقي قليلون، وأنه بحاجة لمن يزوره، فكنتُ واحداً منهم في ذلك اليوم.

جلست معه قرابة ربع ساعة، فدعوت له: «اللَّهُمَّ رَبَّ النَّاسِ أذْهِبِ الباسَ، اشْفِهِ وأنْتَ الشَّافِي، لا شِفاءَ إلَّا شِفاؤُكَ، شِفاءً لَا يُغادِرُ سَقَماً» (صحيح البخاري).

وقلت له: لا بأس عليك يا أخي العزيز يوسف، «أسألُ اللهَ العظيمَ ربَّ العرشِ العظيم أنْ يُعافيَكَ ويَشْفيَكَ»، يقال عند المريضِ سبع مرات. (حديث صحيح).

ثم قلت له: ضعْ يمينَك على المكان الذي تشتكي، فامسحْ بها سبعَ مرات، وقل: «أعوذُ بعزَّةِ اللهِ وقُدرتِه من شرِّ ما أجِدُ في كلِّ مَسحة» (حديث صحيح).

وأرشدته إلى قراءة «الفاتحة»، و«آية الكرسي»، و«المعوذتين»، وغير ذلك مما ورد

صناعة الأمجاد.. من عقول المصلحين إلى أقدام اللاعبين!

أ.د. جمال عبدالستار

الأمين العام لرابطة علماء أهل السُّنة

إن الشيطان لا يطلب من الناس أن يعبدوا الأصنام الحجرية كما كان يفعل الأولون، بل يصنع لكل عصر أصنامه التي تناسبه، فقد يكون الصنم فكرة، أو شهوة، أو شهرة، أو مالاً، أو سلطة، أو صورة، أو لعبة، وكل شيء تجاوز قدره حتى استولى على القلب، وصرفه عن رسالته، فقد أخذ من معنى الصنم بقدر ما استولى على ذلك القلب.

ومن ذلك ما نراه اليوم مما يمكن تسميته بـ«البيضة الشيطانية»؛ تلك الكرة الجلدية التي ألقى بها الشيطان أول الأمر مستصغرة، فالتقفها أتباعه ونفخوا فيها من عصبية نفوسهم وأهوائهم، حتى تضخمت وصارت صنماً دولياً يُعبد في محاريب العصر الحديث.

وإنّ هذا الطوفانَ الإعلامي العولمي الذي ينفخ في جِلْدِ ميت فيستعبد به عقول الملايين لهو التجسيد الحيّ والتحذير النبوي الصادق من شؤم «الرجل يكذب الكذبة فتبلغ الآفاق»، وهل ثمة كذبة بلغت الآفاق واستعبدت النفوس كأن تتوهم أمة مستخلفة أن مجدها يُصنع بأقدام اللاعبين لا بعقول المصلحين؟

لقد وُجدت هذه اللعبة لتكون مجرد تسلية تزجي بها النفوس كَلَالها في أوقات الفراغ، ولكن السحر الشيطاني، حين يمتزج بغفلة الجماهير، يحيل اللعب عبادة، والتسلية منهج حياة، وهكذا تأسست لهذا الوثن الكروي منظمات دولية، وصار لها كهنة وسدنة يحمون فكرتها، ويشرعون قوانينها، ويصنعون من طقوسها ديناً عالمياً بديلاً، فتحول العالم إلى سوق عولمية كبرى، وشُيدت الأندية والأكاديميات، وانتقل الأمر من هزل الملاعب إلى جد العصبية والتنازع.

بل وصل الانحراف بالوعي إلى حد جعل الولاء والبراء، والحب والبغض، يعقدان على ألوان القمصان وشعارات النوادي! إنها غربة العقل حين يذهل عن حقائق الوجود ويلتمس العزة في جلود منفوخة بالهواء.

ويا ليت الأمر وقف عند حدود اللهو، بل إن الأعجب والأشد نكراً أن هذه اللعبة استحوذت على مفاهيم الأمة وخطفت مصطلحاتها الشريفة، لقد انحرف مفهوم «المدافعة» -الذي هو سُنّة الله في دفع الفساد وإقامة الحق- ليصبح محصوراً في حراسة الشباك نظيفة، وانكمش مفهوم «النصر» من إعلاء كلمة الله ونصرة المظلوم وبناء الحضارة، ليتلخص في إحراز الأهداف وهز شباك الخصوم بقذائف كروية! وأسفاه على أمة أورثها وَهْمُ الملاعب عِزاً زائفاً، بينما مقدساتها وقيمها ترزح تحت وطأة الهزائم الحقيقية.

إن أمة الإسلام، حاملة الرسالة الخاتمة ووارثة النبوة، جديرة اليوم بوقفة مراجعة صادقة وهزّة وعي عنيفة، لقد أصبحنا نرى من العجائب ما يندى له جبين الغيرة؛ علماء يرفعون الأكف بالدعاء لفوز فريق، ولاعبون يسجدون شكراً لإصابة شباك خصم، وجماهير تحشد الطاقات وتحترق حماساً، وتبذل الأموال والأوقات، في الوقت الذي تخبو فيه حرارة القضايا الكبرى للأمة، وتفتر الهمم عن حمل رسالة الحق، وتضعف الغيرة على الدين والأوطان!

وليس العيب قط في رياضة تُمارَس لتربية الأبدان، ولا في ترويح مستساغ تطلبه النفوس، وإنما العيب، كل العيب، في اختلال الموازين وانحدار الاهتمامات من معالي الأمور إلى سفاسفها، حتى تغدو الهزيمة الكروية أشد وقعاً على النفوس من هزيمة المبادئ والضمائر!

فاحذروا بيضات الشيطان قبل أن تفقس؛ فإنها لا تخرج أول الأمر إلا لعبة، ثم لا تلبث أن تصبح قضية، ثم عقيدة، ثم هوية، ثم سجناً واسعاً لا يشعر المسجون أنه فيه، ومن يومها لا يعود الشيطان بحاجة إلى أن يقود الناس بالسلاسل، لأنهم يحملون قيودهم في قلوبهم، ويحسبونها زينة، وهي في الحقيقة أغلال.

وهذه المنظومة العبثية ليست أولى بيضات الشيطان في تاريخنا المعاصر؛ فكم من أفكار برّاقة ظنها الناس شيئاً عظيماً، ثم ما لبثت الأيام أن كشفت عن وجهها الكالح بعد أن أفسدت العقائد والعلاقات، لقد عاشت البشرية دهراً تحت ظل «بيضة الشيوعية» حتى انبرى من يلفق لها ثوباً من الشريعة، ثم تلتها «الرأسمالية» و«الاشتراكية»، حتى وصلنا إلى البيضة الكبرى؛ «الديمقراطية الغربية» وحقوق الإنسان!

تلك الأكاذيب الميتة التي صاغتها المنظومة الدولية المستبدة لتكون أصناماً من عجوة تأكلها الأنظمة الطاغية كلما جاعت إلى السيطرة، وما نراه اليوم من اغتيال لإرادات الشعوب، وقتل وتجويع للأطفال، وهتك للأعراض على مرأى ومسمع من العالم، لهو الدليل القاطع على أن تلك الشعارات ما هي إلا شروط يفرضها المستكبر لشرعنة بغيه، وإشاعة الفواحش، وإفساد الفطرة الإنسانية وتلويثها.

إن العلاج الناجع لهذه التبعية المقيتة لا يكون بالانخراط في هذه المنظومات الفاسدة أو العكوف في محاريبها، بل في عودة الأمة إلى شريعة ربها لتسترد هويتها المفقودة، وتصطبغ بصبغة الله التي لا تبلى، لن يكون الفوز يوماً في نيل كأس، ولن يكون النصر في اعتلاء منصة تتويج كروية، بل النصر الحقيقي في أن تقوم الأمة بدورها الاستخلافي، وتغرس قيم الإسلام في كل نادٍ ومحفل، وتحمل أمانة البلاغ للعالمين؛ لتكسر راية الشيطان وتدحر زيف شياطين الإنس والجن.

يا أحبتي، إنه نداء حار يخرج من سويداء القلب إلى كل ذي عقل مؤمن وهمة عالية: انحازوا إلى دينكم، واعتزوا بهويتكم، وتعالوا نقدّم للبشرية الحائرة نموذجاً حضارياً ينقذها من ظلمات المادية والعبث، ويعيد للإنسان تكريمه الإلهي الذي ضيعه لصوص العقول.

إن الأمة التي نزل في حقها قوله تعالى: (كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ) (آل عمران: ١١٠) لا يليق بها أبداً أن تختزل مجدها في أهداف تُسجل، بل مجدها في هداية البشر ونشر العدل وصناعة الحياة، فمن يوقظ القوم من غفلتهم قبل فوات الأوان؟ ■

صفات القائد الناجح.. مروان بن الحكم ونموذج الثلاثية الذهبية

أورد الذهبي عن قَبِيْصَة بن جَابِر قَالَ: «قُلْتُ لِمُعَاوِيَةَ: مَنْ تَرَى لِلأَمْرِ بَعْدَكَ؟ فسَمَّى رِجَالاً، ثُمَّ قَالَ: وَأَمَّا القَارِئُ الفَقِيْهُ الشَّدِيدُ فِي حُدُوْدِ اللهِ؛ مَرْوَانُ»[1].

في أروقة التاريخ الإسلامي، تتوارى خلف الأحداث الكبرى نصوصٌ قصيرة، تبدو في ظاهرها حوارات عابرة، لكنها في حقيقتها تمثل «دساتير مصغرة» في تقييم الرجال وفهم معادلات الحكم، هذا النص الذي يوثق حواراً بين قبيصة بن جابر، والخليفة معاوية بن أبي سفيان، يأتي في سياق تاريخي حساس؛ حيث كان سؤال الخلافة واستشراف المستقبل الهاجس الأكبر الذي يشغل بال النخب والمجتمع على حد سواء.

ولم تكن إجابة معاوية مجرد سرد لأسماء، بل كانت تفكيكاً لبنية الكفاءة القيادية، حين وصف مروان بن الحكم بثلاثية نادرة: «القارئ، الفقيه، الشديد في حدود الله»، إننا أمام مصفوفة معايير لا تقف عند حدود القرن الأول الهجري، بل تتجاوزه لتؤسس نظرية شاملة في الإدارة، والسياسة، والاجتماع، والنفس البشرية.

كيف فكر المسلمون الأوائل في اختيار القادة؟

يبرز سؤال قبيصة بن جابر: «من ترى للأمر بعدك؟» كدلالة على الوعي المؤسسي المبكر في العقل المسلم، ومعاوية، بصفته رجل دولة من الطراز الأول، لم يتهرب من السؤال، بل استعرض الخيارات المتاحة، ووضع أوزاناً نسبية لرجالات دولته، مبيناً أن الحكم لا يقوم به شخص فارغ، بل يستند إلى صفات جوهرية تضمن بقاء الكيان وحفظ الاستقرار.

ويستند هذا المعنى إلى أصل شرعي متين في تحمل أمانة الأمة، كما في الصحيحين عن مَعْقِلَ بْنَ يَسَارٍ الْمُزَنِيَّ قَالَ: إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «مَا مِنْ عَبْدٍ يَسْتَرْعِيهِ اللهُ رَعِيَّةً يَمُوتُ يَوْمَ يَمُوتُ وَهُوَ غَاشٌّ لِرَعِيَّتِهِ، إِلَّا حَرَّمَ اللهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ»[2].

والتفكير فيمن يخلف القائد هو من صميم النصح للرعية، وقد تجلى هذا في فعل أبي بكر الصديق حين استخلف عمر، وفي جعل عمر الأمر شورى في ستة من خيرة المسلمين وممن زكاهم النبي صلى الله عليه وسلم[3].

التخطيط للتعاقب القيادي.. من معاوية إلى المؤسسات الحديثة:

والناظر في الواقع المعاصر، يجد أزمة كثير من المؤسسات، تكمن في غياب خطة التعاقب القيادي، فالقائد الناجح ليس من يحتكر النجاح في عصره فقط، بل من يمهد الطريق لمن يكمل المسيرة، فغياب هذا الجانب يؤدي إلى فراغ مدمر بعد رحيل المؤسسين، ويجعل المؤسسات ترتبط بالأشخاص لا بالمنهج، وهنا يتبين أن القائد الحقيقي هو الذي يبني من يخلفه، ويزن رجاله بميزان المستقبل لا اللحظة الحاضرة فحسب.

القارئ والفقيه.. لماذا يبدأ بناء القائد من المعرفة؟

لم يأت ترتيب معاوية لصفات مروان اعتباطاً؛ فقد بدأ بـ«القارئ»، ثم أردف بـ«الفقيه»، فالقارئ في عُرف الصدر الأول لا يعني مجرد المجود لحروف القرآن، بل الحافظ للوحي، الجامع للنصوص، والمستوعب للمعلومات الأساسية، أما «الفقيه» فهو القادر على الغوص في أعماق تلك النصوص لاستخراج دلالاتها وتنزيلها على النوازل، هذا الترتيب المنهجي يقرر قاعدة ذهبية: لا فقه بلا قراءة، ولا استنباط بلا حفظ للأصول، فالمعرفة المبنية على غير أساس نصي متين مجرد تخبط.

ويدل على هذا ما جاء في القرآن الكريم من مدح العلم الراسخ المستند إلى الوحي الإلهي: ﴿بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي

صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ﴾ (العنكبوت: ٤٩)، ويقرر النبي صلى الله عليه وسلم هذا التمايز المنهجي، فعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِك، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ: «نَضَّرَ اللَّهُ عَبْدًا سَمِعَ مَقَالَتِي فَوَعَاهَا، ثُمَّ بَلَّغَهَا عَنِّي، فَرُبَّ حَامِلِ فِقْهٍ غَيْرِ فَقِيهٍ، وَرُبَّ حَامِلِ فِقْهٍ إِلَى مَنْ هُوَ أَفْقَهُ مِنْهُ»[٤].

أزمة العصر.. فقه بلا قراءة وتصدّر بلا تأصيل:

ونحن نعيش اليوم أزمة خانقة يمكن تسميتها بـ«فقه بلا قراءة»؛ حيث يتصدر للتحليل وإبداء الرأي في الشأن العام، أو الشرعي، أو الاقتصادي من لا يملك حصيلة معرفية صلبة، ففي الإعلام ووسائل التواصل الاجتماعي، نجد جرأة على إطلاق الأحكام دون استناد إلى بيانات دقيقة أو أصول علمية، والواجب هنا ضرورة العودة إلى التأسيس المعرفي قبل التصدر للتحليل والتنظير.

كثير من المفكرين يمتلكون المعرفة (القارئ الفقيه)، لكنهم يفشلون في مقعد القيادة لانعدام القدرة على التنفيذ، ومعاوية أدرك أن المعرفة وحدها لا تقيم دولة، فأضاف الصفة الثالثة الحاسمة: «الشديد في حدود الله»، هذا هو المثلث الذهبي للقيادة الناجحة: المعرفة الصحيحة، الفهم الدقيق، التنفيذ الصارم.

هذا التكامل القيادي امتداد للقاعدة القرآنية في اختيار الأكفاء؛ ﴿إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ﴾ (القصص: ٢٦)، فالقوي هو الشديد في حدود الله، والأمين هو الذي يحجزه فقهه وقراءته عن الظلم، وفي سير السلف، كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول: «لَيْسَ يُصْلِحُ هَذَا الْأَمْرَ إِلا شِدَّةٌ فِي غَيْرِ عُنْفٍ، وَلِينٌ فِي غَيْرِ ضَعْفٍ»[٥].

وقد تأثرت الإدارة الحديثة بغياب هذا المعنى، حيث نرى مديرين يمتلكون شهادات عليا (القارئ الفقيه)، لكن إداراتهم تفشل بسبب ترددهم، أو تساهلهم، أو خضوعهم للضغوط والمجاملات التي تضيع حقوق العمل (غياب الشدة في حدود النظام)، ومن جهة أخرى، نرى إداريين يعتمدون على الحزم القاسي بلا وعي ولا فقه، فيدمرون بيئة العمل، التوازن الذي ذكره معاوية المفتاح لبناء مؤسسة صحية ومنتجة، فالمعرفة بلا حزم تنظيرٌ عاجز، والحزم بلا معرفة تهورٌ مدمر؛ والقيادة الناجحة زواج بين العقل المبصر واليد القوية.

حمايـــة حدود الله صمـــام أمان للمجتمع:

إن استخدام مصطلح «حدود الله» يحمل دلالة أعمق من مجرد العقوبات الجنائية؛ إنه يشمل الإطار العام الذي يحفظ للمجتمع دينه وعرضه وعقله وماله، فالشدة هنا ليست موجهة للانتقام الشخصي، بل لحماية المساحة المشتركة للمجتمع، فالقائد الذي يتساهل في حدود الله من أجل كسب شعبية زائفة، يضحي بالمجتمع كله، ومروان بن الحكم في نظر معاوية امتلك هذه الحصانة الأخلاقية التي تمنعه من المساومة على الثوابت.

وتأصيلاً لهذا المعنى، فقد غضب النبي صلى الله عليه وسلم غضباً شديداً حين حاول أسامة بن زيد أن يشفع في حدٍّ من حدود الله، وقال كلمته الخالدة التي أسست لمبدأ المساواة أمام القانون: «وَايْمُ اللَّه لَوْ أَنَّ فَاطِمَةَ بِنْتَ مُحَمَّدٍ سَرَقَتْ لَقَطَعْتُ يَدَهَا»[٦].

وفي عصرنا تتصاعد دعوات السيولة والتنازل عن الثوابت تحت دعاوى «التسامح المفرط»، وهنا يبرز دور المربي، والداعية، والأب في تطبيق هذه «الشدة الرشيدة»، فالتساهل في الأسرة تجاه تجاوزات الأبناء الأخلاقية الخطيرة بدافع العاطفة المفرطة يؤدي إلى انهيار الأسرة، كذلك في القضاء والأنظمة العدلية، فالتسوية بين الجاني والضحية بدعوى الرحمة هي في حقيقتها قسوة على المجتمع بأكمله.

إنصاف الكفـــاءات معيار القائـــد الحكيم:

من المعلوم أن معاوية بن أبي سفيان ينتمي إلى البيت الأموي، ومروان بن الحكم ينتمي إلى فرع آخر من نفس الشجرة، وكانت بين البيوتات القرشية منافسات خفية ومعلنة، ورغم أن معاوية كان يعلم أن مروان بن الحكم طموح، وأن له ثقله السياسي، فإن ذلك لم يمنعه من إنصافه وإعطائه التوصيف الدقيق الذي يستحقه، لم يبخسه حقه، ولم يتجاهل كفاءته لمجرد حسابات سياسية ضيقة، هذا يعكس يقظة نفسية وصحة في المعيار؛ فالرجال يُقيَّمون بمؤهلاتهم الذاتية، لا بمدى ولائهم الشخصي المحض أو التوافق المزاجي معهم؛ ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى﴾ (المائدة: ٨).

وكم نخسر اليوم من كفاءات عظيمة في مؤسساتنا ودوائرنا الدعوية والعملية بسبب عدم التوافق المزاجي أو الاختلاف في وجهات النظر! فالمدير الذي يقرب فقط من يشبهه ويوافقه، ويقصي المخالفين له وإن كانوا من أصحاب «القراءة والفقه والشدة»، يكتب شهادة وفاة لمؤسسته، والحق أن التجرد في تقييم الآخرين، ووضع الشخص المناسب في المكان المناسب بغض النظر عن الحظوظ النفسية، معيار الارتقاء الحضاري، فالعقول الكبيرة تزن الرجال بالمعايير الموضوعية، وتتجاوز حظوظ النفس لتضع الكفاءة فوق الميل الشخصي.

من خلال ما سبق يتبين أنه لا غنى للأمة في كل زمان ومكان عن القادة، والمديرين، والمربين الذين جمعوا أطراف المجد الثلاثة: سعة الاطلاع والمعرفة التي تحمي من الجهل (القارئ)، وعمق الفهم وإدراك المآلات الذي يعصم من سطحية التفكير (الفقيه)، والصلابة المبدئية التي تردع المعتدي وتحرس الثوابت (الشديد في حدود الله)، فحين تجتمع هذه الثلاثية، لا تُبنى الدول والمؤسسات فحسب، بل تُصنع الحضارة التي لا تُقهر ■

الهوامش

(١) سير أعلام النبلاء: الذهبي (٤/ ٤٦٥).

(٢) رواه البخاري (٦٧٣١)، ومسلم (١٤٢).

(٣) فتح المنعم شرح صحيح مسلم (٣/ ١٩٩).

(٤) رواه الترمذي (٢٦٥٨)، وابن ماجه (٢٣٦) بسند صححه الألباني.

(٥) أنساب الأشراف: البلاذري (١٠/ ٣٤٤).

(٦) متفق عليه، رواه البخاري (٣٤٧٥)، ومسلم (١٦٨٨).

أدب اللسان في رحاب الإيمان (3)

من مسالك الاحترازات النحوية في مقام الألوهية

د. رمضان فوزي
دكتوراة في اللغة العربية وعلومها

في هذه الحلقة، نواصل إبحارنا في فقه «الاحتراز النحوي»، لنرى كيف طوع علماء العربية قواعدهم ومصطلحاتهم لتكون درعاً يحمي حياض التنزيه، وصورة مثلى للأدب مع رب العزة، من خلال تأويل ما قد يوهم نقصاً أو بشريّة في حق الله تعالى.

الاحتراز في إفادة «إنْ» الشرطية الشك مع الله تعالى:

تقتضي «إنْ» الشرطية في أصل وضعها اللغوي الشك والتردد والظن، وهذا المعنى مستقر عند النحاة في كلام البشر، لكن حين يتعلق الأمر بكلام الله تعالى وأفعاله، يبرز إشكال عقدي؛ فالله سبحانه منزه عن الشك، وأفعاله محققة الوقوع؛ لذا، اتفق النحاة على تجريد «إن» من معنى الشك أو تأويل المقصود بالشك فيما يكون من كلام الله تعالى وأفعاله مما هو محقق الوقوع، كما في قول الله تعالى: ﴿لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِن شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ﴾ (الفتح: ٢٧)؛ حيث إنَّ تحقق مشيئة الله تعالى غير قابلة للشك.

واحترازاً من هذا المعنى الذي لا يجوز في حق الله تعالى، سلك العلماء مسالك عدة:

أولاً: تأويل الحرف: حيث تأول الكوفيون «إن» هنا بمعنى «إذ»، كما ذكر ابن هشام في «مغني اللبيب»، لتفيد اليقين والتعليل بدلاً من الشرط والشك.

ثانياً: بقاء الحرف مع توجيه المعنى: ذهب البصريون إلى أن «إن» باقية على أصلها من الدلالة على الأمور غير المحققة أو الشك، وأن هذا من إجراء كلام الله تعالى مجرى كلام المخلوقين تعليماً وحكاية إذا أخبروا عن المستقبل، أو بأن أصل ذلك الشرط، ثم صار يذكر للتبرك، أو أن المعنى: لتدخلن جميعاً إن شاء الله ألا يموت منكم أحد قبل الدخول، أو أن ذلك من كلام النبي صلى الله عليه وسلم لأصحابه حين أخبرهم بالمنام فحكى الله لنا ذلك.

الاحتراز في استخدام «في» للظرفية مع الله تعالى:

من المعاني الأصيلة لحرف الجر «في» الظرفية، سواء كانت حقيقية أم مجازية، ولكن، لما قام البرهان العقلي على أن الله عز وجل ليس بمتحيز في جهة، ولا يحويه مكان، أجمع النحاة أن الظرفية غير مرادة بالنسبة لله تعالى.

ومن ثم احترزوا في جعل «في» ظرفية له سبحانه في قوله تعالى: ﴿أَأَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ الْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ﴾ (الملك: ١٦)، وتأولوا لذلك عدة تأويلات صوناً للعقيدة:

أولاً: تقدير مضاف محذوف: بقاؤها على ظرفيتها مع تقدير مضاف، كما نقل القرطبي قول ابن عباس فيها: «أأمنتم عذاب من في السماء إن عصيتموه»، وقيل: أأمنتم من في السماء ملكوته وقدرته وعرشه، وخص السماء لأنها مسكن ملائكته وعرشه وكرسيه.

ثانياً: توجيه المعنى للملائكة: بقاؤها على ظرفيتها لكن المقصود الملائكة، وقيل جبريل وهو الموكل بالعذاب.

ثالثاً: تأويل الحرف بمعنى «على»: تأويلها بمعنى «على» أو «فوق»، والسماء هنا لا يقصد بها المخلوق المادي، بل مطلق السمو والعلو، واستدلوا على مجيء «في» بمعنى «على» بقوله تعالى: ﴿وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ﴾ (طه: ٧١)؛ أي: على جذوع النخل، وبقوله عز وجل: (فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ) (آل عمران: ١٣٧)؛ أي على الأرض.

الاحتراز باستخدام «العالم» بدل «العاقل»:

في أبواب النحو التي تتناول «مَن» الموصولة أو شروط جمع المذكر السالم، نجد دقة متناهية في اختيار المصطلح؛ فمن الاحترازات التي راعاها بعض النحاة استخدامهم «من يعلم» بدلاً من «من يعقل»؛ حتى يصح تنزيل هذا الوصف على ما يتعلق بالله تعالى؛ إذ إنه سبحانه لا يوصف بالعقل، بل يوصف بالعلم؛ لأن العقل لغة يقتضي «المنع» (من العقال)، وهو ما لا يليق بجنابه الأقدس.

وممن حرص على استخدام هذا الوصف في كتبه ابن هشام الأنصاري؛ إذ يقول: «فأما «مَن» فإنها تكون للعالم نحو

﴿وَمَنْ عِندَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ﴾ (الرعد: ٤٣)»، وقد أخذ ابن الرضي على ابن الحاجب قوله: «علم يعقل» و«مذكر يعقل»، قائلاً: «الأولى فيه أن يقول: «يعلم» ليشمل نحو قوله تعالى: ﴿وَالْأَرْضَ فَرَشْنَاهَا فَنِعْمَ الْمَاهِدُونَ﴾ (الذاريات: ٤٨)؛ إذ لا يطلق عليه سبحانه أنه عاقل؛ لإيهام العقل للمنع من القبائح الجائزة على صاحبه، تعالى الله عنها علواً كبيراً» (شرح الكافية، ٢/ ١٨١).

الاحتراز من القول بوجود حرف «زائد» في القرآن:

تحرج الكثير من النحاة والعلماء من استخدام مصطلح «زائد» عند إعراب حروف القرآن الكريم؛ لما في الكلمة من إيهام بأن الحرف لا معنى له، وهذا محال في كلام الله، حيث يقول ابن هشام موصياً المعربين: «وينبغي أن يتجنب المعرب أن يقول في حرف من كتاب الله: زائد؛ لأنه يسبق إلى الأذهان أن الزائد لا معنى له، وكلام الله تعالى منزه عن ذلك» (الإعراب عن قواعد الإعراب، ص ١٦).

وقد استخدم الكوفيون مصطلح «الصلة» بدلاً من «الزائد»، يقول ابن يعيش: «الصلة والحشو من عبارات الكوفيين، والزيادة والإلغاء من عبارات البصريين» (شرح المفصل، ٨/ ١٢٨).

الاحتراز من استخدام «فعل الأمر» مع الله تعالى:

من أرقى صور الأدب النحوي مراعاة رتبة المخاطب في الأفعال الطلبية؛ لذا، يؤثر كثير من اللغويين استخدام «فعل الدعاء» بدلاً من «فعل الأمر» إذا كان المخاطَب به الله تعالى، يقول ابن هشام في إعراب قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا أَرِنَا الَّذَيْنِ أَضَلَّانَا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ﴾ (فصلت: ٢٩): «أر» فعل دعاء ولا تقل: فعل أمر تأدباً. (شرح شذور الذهب، ص ١٣).

ويقول ابن السراج: «اعلم أن أصل الدعاء أن يكون على لفظ الأمر وإنما استعظم أن يقال: أمرٌ، والأمر لمن دونك، والدعاء لمن فوقك، وإذا قلت: اللهم اغفر لي فهو كلفظك إذا أمرت فقلت: يا زيدُ أكرم عمراً» (الأصول في النحو، ٢/ ١٧٠). ■

المشكاة.. في مدح النبي ﷺ

شعر: أحمد بخيت

الزَّيْتُ والمِصْبَاحُ، والمِشْكَاةُ ... نـــورٌ، على نـــورٍ، ولا ظُلُماتُ
ميقاتُ حُجَّاجِ الحقيقةِ واحدٌ ... إومُحمَّدٌ هو وحدَهُ الميقاتُ
إنْ قالَ قلبي: يَا حبيبُ، تَسابقتْ ... بفَمِ الخلائقِ كلِّها اليـــاءاتُ
يا سَيدَ السادات لا مُستثنياً ... أحداً، ويشهـــدُ قَبْلي الساداتُ
لكَ أوَّلُ الكلماتِ في فـمِ آدمٍ ... أبغير أحمدَ تَبدأُ الكلمـــاتُ؟
لكَ لا شبيـــهَ لكي يُقالَ كأنَّهُ ... فأمامَ أحمدَ تسقطُ الكافـــاتُ
ولكَ الوسيلةُ والفضيلةُ والعُلا ... والحوضُ، والفردوسُ، والدرجاتُ
قلبي حَمامُ حِمَى، يَطُوفُ مُرنِّماً ... في حجـرِ مكةَ، والأنـــامُ سباتُ
أشرقتَ فالأوثـــانُ كلُّ رؤوسِها ... نُكِسَتْ وإبليـــسُ له رَنَّـــاتُ
والكونُ أخشـعُ ما يكونُ، كأنَّما ... تُتلى عليه «الفتحُ» و«الصافاتُ»
وحَفيفُ أجنحةِ الملائكِ وارفٌ ... والأرضُ تهليـــلٌ وتكبيـــراتُ
وُلِدَ الشهيدُ على البريةِ، والذي ... تمشي وراءَ لوائـــهِ الرايـــاتُ
العاقبُ المُدَّثرُ المزَّمـلُ الـ ... ماحي لليـلِ الشركَ لا رَيبـــاتُ
المنذرُ الهادي، البشيرُ الصادقُ الـ ... وعد، الأميـــنُ، الرحمةُ المهداةُ
والهاشميُّ، الخاتمُ، الأميُّ مَنْ ... سبقَت إليه شفاهَنـــا الصلواتُ
طهَ الذي ابْتـــدأتْ به تَمَّتْ به ... كلماتُ رحمـــةِ ربِّه التامَّـــاتُ
طوباكَ، كلُّ الكائناتِ غَدَتْ فَماً ... ومُحمَّدٌ فـــوقَ الثنـــاءِ صلاةُ
ما المعجزاتُ وأنتَ معجزةُ الهُدى ... كلُّ الفضائـلِ فيكَ مكتمـلاتُ؟
ومكـارمُ الأخلاقِ فيكَ مَعاجزٌ ... كبرى، لمَن أغْوَتْـــهُ إغـــواءاتُ
هيهـــاتَ مَنْ قُرآنُـــهُ أخلاقُـــهُ ... ترقى إلى كَعْبَيْـــهِ مُفْتَريـــاتُ
شوقاً لوجْهِكَ أنْ تُظلَّكَ غيمةٌ ... وبنورِ وجْهِكَ تُستقَى الغيمـــاتُ
لا يَخفِضُ الأيتامُ بَعْدَكَ جبهةً ... فخراً بِيُتْمِكَ كَمْ عَلَتْ جَبَهـــاتُ
والناسُ تَسْتَهدي بضوءِ نجومِها ... ليلاً، وتَستهـــدي بكَ النَّجْمَـــاتُ
مَن ذلكَ الماشي ونَفْحُ نسيمِهِ ... مِسْكٌ ونقلـــةُ خطوِهِ طاقـــاتُ؟
الأبلجُ الأقنَى، الأزجُّ، الأكحلُ الـ ... مربوعُ غُصنٌ ليس فَيْهِ هَنَـــاتُ
إنْ كانَ بينَ القـــومِ أشرقَ، زاهراً ... وكأنَّ مجلسَـــهُ هو الروضـــاتُ
وإذا تكلَّمَ فالجميـــعُ مسامـــعٌ ... وإذا تلفَّـــتَ كلُّهُم حَدَقـــاتُ
هذا الأمينُ أعزُّ مَنْ وطِئَ الحصى ... وأظلَّـــتِ الأفـــلاكُ والـــدَّاراتُ
و«خديجةُ» في ليلِها في صُبْحِها ... في قلبِها الأشـــواقُ والخفقـــاتُ
ودَّتْ وكـــانَ لها الذي في وجْهِـــهِ ... نـــورٌ وللأســـرارِ إرهاصـــاتُ
مَن يحملِ الحجرَ الكريمَ لموضعِ الـ ... حجرِ الكـــريمِ وكلُّهم قامـــاتُ؟
هم حكَّموهُ فكانَ أحْكَمَ مَن قضَى ... من يومِ أنْ عرفَ القضـــاءَ قضاةُ
هذا نبيُّ اللهِ أعظـــمُ مَن هَدى ... وبه اقتَـــدى في المكرماتِ هُداةُ
المؤثرونَ على الخصاصةِ غيرَهم ... والقائمـــونَ فليلُهـــم ركعـــاتُ
رحماءُ بينهمُ أشـــدَّاءُ على الـ ... كُفَّـــارِ لا بَطَـــرٌ ولا نَعَـــراتُ
يا ربِّ صَـــلِّ على النبي وآلـــهِ ... ما سبَّحَ الموجـــودَ موجوداتُ

18

إعداد الدعاة في الحضارة الإسلامية

اغتنام العشر الأواخر من رمضان

د. رمضان أبو علي
أستاذ جامعي، دكتوراة في الدعوة الإسلامية

روى مسلم في صحيحه عن أم المؤمنين عَائِشَة رَضِيَ اللَّه عَنْهَا قَالَتْ: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ يَجْتَهِدُ فِي الْعَشْرِ الْأَوَاخِرِ، مَا لَا يَجْتَهِدُ فِي غَيْرِهَا»، وَعَنْهَا أنها قَالَتْ: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ إِذَا دَخَلَ الْعَشْرُ، أَحْيَا اللَّيْلَ، وَأَيْقَظَ أَهْلَهُ، وَجَدَّ وَشَدَّ الْمِئْزَرَ».

مظاهر حرص الدعاة في الحضارة الإسلامية على اغتنام العشر الأواخر من رمضان:

١- الاغتسال والتطيب ولبس أجمل الثياب:

استحب الدعاة إلى الله تعالى في الليالي التي يُرجى أن تكون فيها ليلة القدر أن يغتسلوا ويتطيبوا ويلبسوا أجمل ثيابهم، استعداداً لها، ليكونوا في أحسن الأحوال التي تتنزل فيها الرحمات والخيرات.

وفي هذا يقول ابن جرير: كان السلف يستحبون أن يغتسلوا كل ليلة من ليالي العشر الأواخر، وكان النخعي يغتسل في العشر كل ليلة، ومنهم من كان يغتسل ويتطيب في الليالي التي تكون أرجى لليلة القدر، وقد أَمَر ذر بن حبيش بالاغتسال ليلة سبع وعشرين من رمضان.

وروي عن أنس بن مالك أنه إذا كان ليلة أربع وعشرين اغتسل وتطيب ولبس حلة إزار أو رداء، فإذا أصبح طواهما فلم يلبسهما إلى مثلها من قابل، وكان أيوب السختياني يغتسل ليلة ثلاث وعشرين، وأربع وعشرين، ويلبس ثوبين جديدين ويستجمر ويقول: ليلة ثلاث وعشرين هي ليلة أهل المدينة التي تليها ليلتنا يعني البصريين.

وقال حماد بن سلمة: كان ثابت البناني، وحميد الطويل، يلبسان أحسن ثيابهما، ويتطيبان ويطيبان المسجد بالنضوح والدخنة في الليلة التي ترجى فيها ليلة القدر[1]، وقال ثابت: كان لتميم الداري حُلَّة اشتراها بألف درهم، وكان يلبسها في الليلة التي ترجى فيها ليلة القدر[2]، وهكذا كان الدعاة إلى الله تعالى يتزينون لطاعة الله، ويفرحون بالأيام المباركة، ويحسنون التهيؤ لها.

٢- الإلحاح في تحري ليلة القدر:

روى أحمد في مسنده عن أَبِي مَرْثَد، قَالَ: سَأَلْتُ أَبَا ذَرٍّ، قُلْتُ: كُنْتَ سَأَلْتَ رَسُولَ

> الدعاة إلى الله كانوا يتزينون لطاعة الله ويفرحون بالأيام المباركة ويحسنون التهيؤ لها
>
> .. وحرصوا على إدراك ثواب ليلة القدر بالتنوع في الأعمال الصالحة من صلاة ودعاء واعتكاف

اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ لَيْلَةِ الْقَدْرِ؟ قَالَ: أَنَا كُنْتُ أَسْأَلُ النَّاسَ عَنْهَا، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَخْبِرْنِي عَنْ لَيْلَةِ الْقَدْرِ: أَفِي رَمَضَانَ هِيَ، أَوْ فِي غَيْرِهِ؟ قَالَ: «بَلْ هِيَ فِي رَمَضَانَ»، قَالَ: قُلْتُ: تَكُونُ مَعَ الْأَنْبِيَاءِ مَا كَانُوا فَإِذَا قُبِضُوا رُفِعَتْ، أَمْ هِيَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ؟ قَالَ: «بَلْ هِيَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ»، قَالَ: قُلْتُ: فِي أَيِّ رَمَضَانَ هِيَ؟ قَالَ: «الْتَمِسُوهَا فِي الْعَشْرِ الْأُوَلِ وَالْعَشْرِ الْأَوَاخِرِ»، ثُمَّ حَدَّثَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَحَدَّثَ، ثُمَّ اهْتَبَلْتُ (اغتممتُ) غَفْلَتَهُ قُلْتُ: فِي أَيِّ الْعَشْرِينَ هِيَ؟ قَالَ: «ابْتَغُوهَا فِي الْعَشْرِ الْأَوَاخِرِ، لَا تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ بَعْدَهَا».

ثُمَّ حَدَّثَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَحَدَّثَ، ثُمَّ اهْتَبَلْتُ غَفْلَتَهُ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَقْسَمْتُ عَلَيْكَ بِحَقِّي عَلَيْكَ لَمَا أَخْبَرْتَنِي فِي أَيِّ الْعَشْرِ هِيَ؟ قَالَ: فَغَضِبَ عَلَيَّ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ مِثْلَهُ مُنْذُ صَحِبْتُهُ، أَوْ صَاحَبْتُهُ، كَلِمَةً نَحْوَهَا، قَالَ: «الْتَمِسُوهَا فِي السَّبْعِ الْأَوَاخِرِ، لَا تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ بَعْدَهَا».

٣- الحرص على قيام الليل وإيقاظ الأهل له:

روى البخاري عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يَطرُقُ فاطمةَ وعلياً ليلاً فيَقولُ لهما: «ألَا تقومانِ فتُصَلِّيانِ؟»، وفي صحيح البخاري، ومسلم، عن عائشة رضي الله عنها، أنَّ النبيَّ صَلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ كانَ يُصَلِّي مِنَ اللَّيْلِ، فإذَا أوْتَرَ، قالَ: «قُومِي فأوْتِرِي يا عَائِشَةُ».

وأخرج الإمام مالك في «الموطأ»، عَنْ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ عَنْ أَبِيهِ، أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ كَانَ يُصَلِّي مِنَ اللَّيْلِ مَا شَاءَ اللَّهُ، حَتَّى إِذَا كَانَ مِنْ آخِرِ اللَّيْلِ، أَيْقَظَ أَهْلَهُ لِلصَّلَاةِ، يَقُولُ لَهُمْ: الصَّلَاةَ الصَّلَاةَ ثُمَّ يَتْلُو هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَّحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى﴾ (طه: ١٣٢).

وأورد ابن رجب الحنبلي عن سفيان الثوري أنه قال: أحب إليَّ إذا دخل العشر الأواخر أن يتهجد بالليل ويجتهد فيه وينهض أهله وولده إلى الصلاة إن أطاقوا ذلك، وكانت امرأة حبيب أبي محمد تقول له بالليل: قد ذهب الليل وبين أيدينا طريق بعيد وزاد قليل وقوافل الصالحين قد سارت قدامنا ونحن قد بقينا[٣].

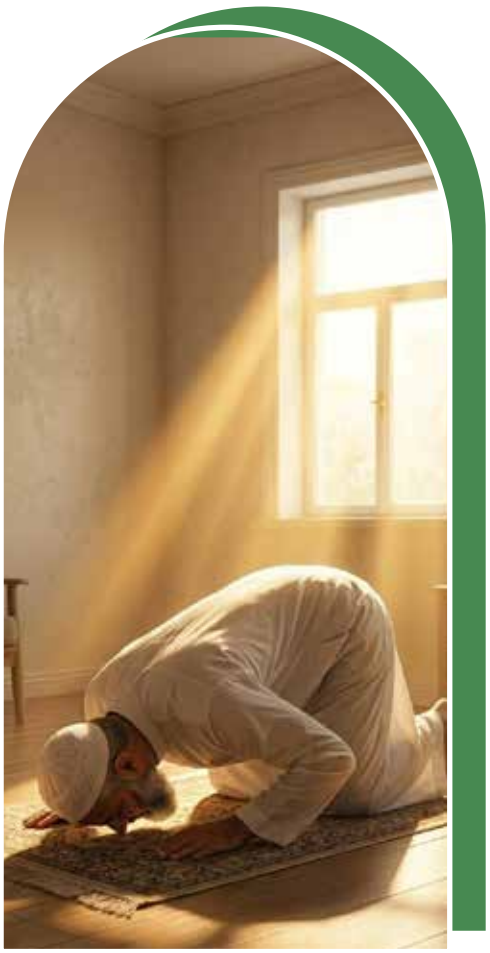

٤- الإكثار من الدعاء:

أمر النبي صلى الله عليه وسلم في هذه الأيام بالإكثار من الدعاء، فقد أخرج الترمذي والنسائي عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، قالت: قُلتُ: يا رسولَ اللهِ، أرأيْتَ إنْ وافقتُ ليلةَ القَدْرِ، ما أقولُ فيها؟ قال: «قولي: اللَّهمَّ إنَّكَ عَفوٌّ تُحِبُّ العَفْوَ فاعف عني»، وقال سفيان الثوري: الدعاء في تلك الليلة أحب إليّ من الصلاة، ومراده: أن كثرة الدعاء أفضل من الصلاة التي لا يكثر فيها الدعاء، وإن صلى ودعا كان حسناً[٤].

٥- الاعتكاف:

دعا النبي صلى الله عليه وسلم إلى الاعتكاف في العشر الأواخر من رمضان، ففي صحيح البخاري، ومسلم، عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، أنَّ النبيَّ صَلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ كانَ يَعْتَكِفُ العَشْرَ الأوَاخِرَ من رَمَضَانَ، حتَّى تَوَفَّاهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ، ثُمَّ اعْتَكَفَ أَزْوَاجُهُ مِن بَعْدِهِ.

دوافع حرص الدعاة في الحضارة الإسلامية على اغتنام العشر الأواخر من رمضان:

١- تحري ليلة القدر:

أكد النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يعتكف العشر الأواخر من رمضان، من أجل تحري ليلة القدر، ففي صحيح البخاري، ومسلم، عن أبي سعيد الخدري، قال: إنَّ رَسولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ اعْتَكَفَ العَشْرَ الأوَّلَ من رَمَضَانَ، ثُمَّ اعْتَكَفَ العَشْرَ الأوْسَطَ، ثم قال: «إنِّي اعْتَكَفْتُ العَشْرَ الأوَّلَ، أَلْتَمِسُ هذه اللَّيْلَةَ، ثُمَّ اعْتَكَفْتُ العَشْرَ الأوْسَطَ، ثُمَّ أُتِيتُ، فقيلَ لِي: إنَّهَا في العَشْرِ الأوَاخِرِ، فمَن أَحَبَّ مِنكُم أَنْ يَعْتَكِفَ فَلْيَعْتَكِفْ»، فَاعْتَكَفَ النَّاسُ معهُ.

وقد أدى حرص الدعاة إلى الله تعالى في الحضارة الإسلامية على إدراك ثواب ليلة القدر إلى التنوع في الأعمال الصالحة والتنقل بينها، من صلاة ودعاء واعتكاف وغيرها من الأعمال التي كان يقوم بها النبي صلى الله عليه وسلم.

٢- حسن ختام رمضان:

اندفع الدعاة إلى الاجتهاد في العشر الأواخر من رمضان، لأنها نهاية السباق، وبها يحسنون الخواتيم، فالخيل إذا شارفت نهاية المضمار بذلت قصارى جهدها لتفوز بالسباق، وقد أورد الذهبي عن مُوسَى الطَّلْحِيّ أنه قال: اجْتَهَدَ أبو موسى الأَشْعَرِيُّ قَبْلَ مَوْته اجْتِهَاداً شَدِيْداً، فَقِيْلَ لَهُ: لَوْ أَمْسَكْتَ وَرَفَقْتَ بِنَفْسِكَ، قَالَ: إِنَّ الخَيْلَ إِذَا أُرْسِلَتْ فَقَارَبَتْ رَأْسَ مَجْرَاهَا، أَخْرَجَتْ جَمِيْعَ مَا عِنْدَهَا، وَالَّذِي بَقِيَ مِنْ أَجَلِي أَقَلُّ مِنْ ذَلِكَ[٥]. ■

الهوامش

(١) لطائف المعارف: ابن رجب الحنبلي، ص ١٨٩.

(٢) سير أعلام النبلاء: الذهبي (٢/ ٤٤٧).

(٣) لطائف المعارف: ابن رجب الحنبلي، ص ١٨٦.

(٤) كشف اللثام شرح عمدة الأحكام: شمس الدين السفاريني (٤/ ٤٩).

(٥) سير أعلام النبلاء (٤/ ٤٧).

إعداد: مصطفى محمود

بـ3 خطـــوات.. كيف يذيـــــب الذكاء الاصطناعي العلاقات؟

كثيراً ما تصادفنا أبحاث أو مقالات أو حتى تغريدات قصيرة عن الأثر الاجتماعي للذكاء الاصطناعي، ورغم أن الأمر ليس جديداً، فإننا بحاجة ماسة إلى تفنيد هذه الرؤية؛ والأسباب التي أفضت إلى النتائج الكارثية والخلل الواضح في العلاقات الأسرية والاجتماعية.

١- الذكاء الاصطناعي صديـــــق وهمي:

رغم أن مخترع الذكاء ذاته ينظر إليه على أنه آلة تقنية صماء مسخّرة لخدمتنا، فإننا نتعامل معها كصديق وفيّ، نقص عليه ما يدور في يومنا، ونشاركه في أتفه الأمور وجلها، ونقضي معه ساعات طويلة من النقاش دون ملل!

وفي الجهة الأخرى تكمن الكارثة؛ أهلٌ مهمشون، وأصدقاء مستبعَدون، وزوجة وأولاد لا نحمل طاقة لمشاركتهم الأفكار والآراء؛ الأمر الذي أفضى بنا إلى أغلال «شات جي بي تي» و«جيميناي» وغيرها من الأدوات التي لا تعرف سوى التصفيق لأقوالنا والمجاملة لأفعالنا.

٢- حديث أجـــــوف ومشاعـــر مصطنعة:

علاقتنا بأدوات الذكاء الاصطناعي تخطت حاجز الصداقة الوهمية إلى المستشار الاجتماعي، فاليوم لا نرهق أنفسنا باستجلاء مشاعرنا لنكتب رسالة صادقة تعبر عن محبتنا للطرف الآخر (أب، أم، صديق، زوج..)، بل نأخذ الطريق الأقصر والمهلك في الوقت ذاته، فقط نكتب هذه الكلمة لإحدى وسائل الذكاء الاصطناعي: «أريد رسالة أعبر بها عن حبي لأمي»، ثم نأخذها ونضع «لصق» ثم «إرسال»، فلا قيمة لحديث أجوف، ولا منفعة من مشاعر مصطنعة.

٣- ناصح غير أمين:

ينظر البعض إلى الذكاء الاصطناعي على أنه المنقذ السريع والناصح الأمين، لكن الحقيقة عارية من هذا التوقع، فحينما نقع في مشكلة اجتماعية تكاد تنهي علاقات متجذرة لأعوام وربما لعقود؛ نهرول ناحية المنقذ الاصطناعي -هكذا أراه في عين مناصريه- لنخبره أن يبحث لنا عن حل سحري بين وصفاته غير المتناهية، وسرعان ما يعطينا الحل، لكن.. أليس لكل داء دواء؟ فما يصلح لجسد ربما يضر غيره!

الطرف الآخر الذي تصادمت معه أنت خير خبير به؛ تعلم شخصيته، وكيفية تفكيره، ونوع مشاعره، وما يمكن أن يتقبله، وما يستحيل أن يرحب به؛ لذا وإن كنت أنت الداء (سبب المشكلة) فأنت الطبيب في الوقت ذاته، أليس من العجب أن تلجأ لآلة صماء بلا قلب ولا مشاعر لتعطيك حلاً سحرياً تداوي به قلب من تحب، وتستعيد مشاعره؟!

هنا تكمن الخلاصة؛ الذكاء الاصطناعي آلة مسخّرة لخدمتنا في النواحي المادية العملية، لكنها محظورة اجتماعياً تحت أي ظرف، وبلا أي تبرير. ■

الشغف.. خـــ نحو الفـــ

في وقت ننظر فيه إلى الشغف على أنه «الدينامو» أو الطاقة الخفية التي تقود العظماء نحو المعجزات، يرى العظماء أنفسهم أن الشغف هو الدرجة الأولى في سلم الفشل، وأن متبع الهوى دائماً ما يهوي، فكيف يمكن أن يكون الشغف بداية الانهيار؟!

حين يتحول الشغف إلى إله! ربما يصدمك العنوان، لكنه ليس وصفاً ذاتياً، ولا حبكة تحريرية؛ وإنما تصوير رباني وصفه الله تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ﴾ (الجاثية: ٢٣).

هذا التعبير إنْ أسقطناه على واقعنا اليوم، لرأينا الشغف والهوى تحول من إحساس عابر إلى آمر وناهٍ، يتحكم في أفعالنا وأقوالنا، إن حضر أُتقن العمل، وجاء الإبداع، وإن غاب اختفى الضمير بحجة «ليس لي مزاج اليوم»؛ لذا وصف الله تعالى من رهن نفسه بهواه بأنه مضل؛ لأن الشغف متغير، ولا يكون حاضراً دائماً، وإن حضر ربما يكون رادعاً للحق مناصراً للباطل.

ومن الأمور السائدة، والقواعد المتعارف عليها، أن القرار الصحيح هو ما اتفق مع الشغف ووافق الهوى، فالطالب قبل اختيار الجامعة ينصحه من حوله بجملة لا يخلو منها أي مجتمع عربي: «اتبع شغفك»، لكن السؤال: أي شغف يتبع؟ شغف اليوم الذي يخبره أن يكون طبيباً؟ أم شغف أمس الذي يهمس له

ـــطوتك الأولى
ـــشل!

بأن يكون مهندساً؟ أم شغف العام الماضي الذي أقنعه بأن يكون ضابطاً؟

في أروقة القضاء، واتخاذ القرار، نجد الإسلام ينهى عن اتباع الهوى؛ يقول تعالى: ﴿يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾ (ص: ٢٦)؛ فاتباع الهوى وتجنب المنطق والحق يؤدي إلى الهلاك والضلال.

وحينما نبحث عن سر تشبثنا بالشغف، والانصياع الأعمى خلف هذا الشعور، نجد التقاءً عجيباً بين الشغف والميول، فحين يسكننا الهوى تجاه عمل ما، نجد شحنة عجيبة من الميول تجاه هذا العمل، وهنا تأتي القاعدة الربانية: ﴿وَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَن تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ (البقرة: ٢١٦).

ميولك وشغفك وهواك ناحية أمر ما لا يعني بالضرورة أنه خير لك، أو أنه القرار الأصوب، أو أن العالم سينتهي إن لم تتبعه، فشغفك قد يصيب ويخطئ، يحضر أحياناً وكثيراً ما يغيب، فلا تجعل إنجازك وتطويرك مرتبطاً بمتغير فيتغير، لكن اجعله نابعاً من إحساسك بالمسؤولية، ورغبتك في إثبات ذاتك، وإيمانك أن الله مطلع عليك. ■

4 علامات للعلاقات السامـــــــة!

مع كثرة وسائل التواصل، تعددت العلاقات الاجتماعية، ولم تعد الأرقام الصغيرة يُعترف بها في مزاد التفاخر الاجتماعي، وستشعر بمعنى السخرية الحقيقي حينما يوجّه لك سؤال عن عدد أصدقائك فتجيب برقم غير الآلاف، وكأن العلاقات أصبحت تقاس بهذه الأرقام الجافة المتصدرة صفحات التواصل الاجتماعي، لا بجودة العلاقة وثمرتها.

١- أين الله في علاقاتك؟

أين الله في علاقاتك؟ سؤال يجب أن يحكم أي علاقة، فالعلاقة السامة تجدها قائمة على مصالح دنيوية بحتة، مبتورة الصلة بالله، فحين يجرك الطرف الآخر إلى معصية، أو لا ينهاك عنها، أو لا يأمرك بطاعة، فهذا مؤشر على ضرورة الانتهاء من هذه العلاقة، فمن عاند باكتمالها سيندم حين لا ينفع الندم، يقول تعالى: ﴿يَا وَيْلَتَىٰ لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا﴾(الفرقان: ٢٨).

٢- العلاقة الموسمية:

في الوقت الذي يقيّم فيه كثير من الناس علاقاتهم بالأرقام، تخبرنا التجارب أن القيمة الحقيقية لأي علاقة تكمن في ثباتها حين تشتد العواصف، وتكثر المحن، ويعم الظلام، فالصديق الوفي، هو الذي يمد إليك يده حين يدير الجميع ظهورهم، وكما يقال: «في المحن تظهر معادن الناس»، أما العلاقات الموسمية فلا خير فيها، ولا رجاء منها.

٣- التصفيق الدائم:

ماذا لو وجدت شخصاً يمدحك؟ تشعر بالفخر؟ الاعتزاز؟ محبتك تزداد لهذا الشخص؟! هذا أمر طبيعي، لكن ماذا لو تكرر المدح، وتحول إلى تصفيق دائم؟ سيفقد قيمته ويختفي بريقه، أليس كذلك؟

هذه واحدة من أخطر علامات العلاقات السامة، أن يبادر الطرف الآخر بالتصفيق الدائم، ألا يميز بين ما يستحق المدح، وما يجب أن ينتقد، فحين تقع في ذنب، أو تتسرع في قرار، أو تغلبك نفسك على خطأ ما؛ هنا يأتي دور الطرف الآخر، ينصحك، ويمنعك، ويوقظك، لا أن يرتدي نظارته السوداء، ويدير ظهره، أو يلبس عباءة المجاملة ولا تسمع منه إلا صوت تصفيقه.

٤- بئر بلا غطاء:

ماذا لو استدعيت ذلك الموقف الذي أخبرت فيه الطرف الآخر أن لديك سراً تريد أن تخبره به؟ ما الجملة التي تسمعها؟ «سرك في بئر»، أليس كذلك؟

حقيقة هذه صفة الصديق الوفي، أن يحفظ سرك، ولا يبديه لأحد، لكن العلاقة السامة تجعل هذه البئر بلا غطاء، فحينما تبدأ بسرد القصة، يتساءل الطرف الآخر: ما الطريقة المناسبة لأخبر الآخرين بهذا السر؟ وبعد أيام معدودة، أو ساعات معلومة، تجد سرك على كل لسان، فهذا مؤشر على أنك مع الشخص الخطأ، حينها يجب أن تنسحب بصمت.

لا تقاس العلاقات بالعدد، ولا تختبر جودتها بالكلام، فالعلاقات السامة تكشف في جوف الأخطار، وتفضح حين تختفي النصيحة، وتختبر حين تبوح بالأسرار. ■

فقه الانتظار.. حين تكون الإجابة «ليس الآن»!

بسمة محمد

اعتدنا أن نقيس الزمن بالساعات والأيام، لكن الله يقيسه بالحكمة؛ لذلك، قد ندعو كثيراً، وننتظر طويلاً، ولا يحدث ما نتمناه، فنظن أن أبواب السماء أُغلقت، بينما الحقيقة أن الله قد يكون يهيئ لنا ما هو أفضل، أو يهيئنا نحن لاستقبال ما طلبناه.

في القرآن الكريم، لم يكن الانتظار مرحلة عبثية، بل كان بداية للتحول، انتظر نبي الله يوسف عليه السلام سنوات في السجن قبل أن يصبح عزيز مصر، وانتظر يعقوب عليه السلام حتى عاد إليه ابنه بعد طول فراق، وانتظر زكريا عليه السلام حتى رزقه الله بيحيى على كِبَر، لم يكن التأخير عقوبة، بل كان جزءاً من الحكمة الإلهية.

ويؤكد القرآن هذا المعنى بقوله تعالى: (وَعَسَى أَن تَكْرَهُواْ شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ) (البقرة: ٢١٦)، فالإنسان يرى اللحظة، أما الله فيرى الطريق كله، ولذلك قد يؤخر العطاء حتى يكتمل الخير.

والانتظار في الإسلام ليس دعوة إلى الاستسلام، بل دعوة إلى العمل مع حسن الظن بالله، فالمؤمن يزرع، ويجتهد، ويدعو، ثم يوقن أن النتائج تأتي في الوقت الذي يقدره الله، لا في الوقت الذي يختاره الإنسان.

وربما كانت أجمل الهدايا التي يمنحها الانتظار للإنسان أنه يعلمه الرضا، ويزيد يقينه، ويكشف له أن بعض الأمنيات لو تحققت في وقتها الذي أراده، لكانت وبالاً عليه لا نعمة.

لا تسأل دائماً: لماذا تأخر ما أريد؟ بل اسأل: ماذا يريد الله أن يعلمني خلال هذا الانتظار؟ فقد تكون الإجابة التي ظننتها تأخيراً، هي في الحقيقة أعظم صور العطاء. ■

أعمال الخير تبدأ منك وتنتهـــــي إليك

محمد قائد الحسيني

لن نغادر هذه الدنيا بما بنيناه أو جنيناه، ولن يكون أيضاً بما أخذناه منها، ولو كان بحسب تصوراتنا كثيراً، فالدنيا بكل ما فيها عند الله لا تساوي جناح بعوضة، وما نراه عظيماً وكبيراً سيفنى، ولن يبقى منه شيء، ويكون كثيراً عند الله كل ما أعطيناه لوجهه ومن أجله، وهي من دلائل رحمة الله بنا وكرمه علينا، فما نقدمه أو نعطيه، وإن بدا في أعيننا صغيراً، أو في أعين غيرنا ممن يلمزون صدقات المتصدقين وإحسان المحسنين المتطوعين، فإن الله يربيه ويكبره، ويكون عنده عظيماً.

وإن ما نعطيه أو نتصدق به، وإن بدا في ظاهره للفقراء، فهو لنا نحن، فقد بيَّن النبي صلى الله عليه وسلم أن ما نتصدق به يبقى، وأن ما نكنزه أو نحتفظ به يذهب، والتصدق ولو بالقليل يفتح لنا أبواب الرزق، وبالصدقة تُشفى أمراضنا، وبها تُمحى ذنوبنا وآثامنا، ومن يتصدق يربح ولا يخسر، وتزيد أمواله ولا تنقص، بل يضاعفها الله أضعافاً مضاعفة، وهذا يعني أننا نكون نحن المحتاجين إلى الصدقة، والمستفيدين منها أكثر ممن نقدمها لهم.

والكلمة الطيبة نطيب بها نحن، وتطيب بها أنفسنا، وننال بها ثواب الدنيا والآخرة، وقبل أن يسعد بها غيرنا نسعد بها نحن، وتترك أثرها الجميل فينا قبل غيرنا، والكلمة الطيبة تفتح لنا أبواب الخير، وتغلق أبواب الشر، وهي هداية وفضل من الله تعالى على عباده الصالحين، وأثرها يفوق تصوراتنا، ففيها دواء للقلوب، وبها تُبنى جسور التواصل، وأعمدة العلاقات، وهي تترك أثراً في النفوس لا يزول، ويكفينا أنها في ميزان الله تعالى صدقة، وفيها نجاة ورحمة.

وما نقوم به من جبر الخواطر يرتد إلينا قبل أن يصل إلى غيرنا، ويلامس شغاف قلوبنا قبل ملامسته لقلوب الآخرين، ولعل من جبرت خاطره يحبه الله، فيحبك الله لأنك جبرت خاطر من يحبه، وقد أُثر عن الإمام سفيان الثوري قوله: «ما رأيت عبادة يتقرب بها العبد إلى ربه مثل جبر خاطر أخيه المسلم».

وأثناء سعينا في حوائج الناس الدنيوية، فإننا في الوقت ذاته نقضي حوائجنا الأخروية، فقضاء حوائج الناس من أعظم أعمال البر، وأعظم القربات، ومن سعى في حاجة أخيه كان في معية الله تعالى، فقد جاء في الحديث: «والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه»، وفي الحديث أيضاً: «من مشى في حاجة أخيه حتى يثبتها له، ثبت الله قدمه يوم تزل الأقدام»، ويقول ابن القيم: «إن في قضاء حوائج الناس لذة لا يعرفها إلا من جربها فافعل الخير مهما استصغرته، فإنك لا تدري أي حسنة تدخلك الجنة».

والإحسان، والبر، وبذل الخير، أياً كان مما يقدمه المسلم لنفسه أو لغيره، فإن أجره يعود عليه، وسيلقى عاقبته خيراً في الدنيا والآخرة، قال تعالى: ﴿إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ﴾ (الإسراء: ٧)، وقال تعالى: (مَّنْ عَمِلَ صَالِحاً فَلِنَفْسِهِ) (فصلت: ٤٦). ■

شريعة الصلاح والإصلاح

د. محمود خليل

التشريع الإسلامي هو التشريع الوحيد في العالم الذي تجتمع فيه خيرات الدنيا والآخرة جميعاً، فهو الوحيد الذي يجمع بين الربانية والواقعية، والمحلية والعالمية، والمرونة والثبات، والاستيعاب والعدالة، والمسؤولية المجتمعية والفردية.

ويحيط بالفرد والمجتمع من الداخل والخارج، ويحمي مصالحه ويلبي حاجاته، ويضعه أمام مسؤولياته، في الدنيا والآخرة؛ بحيث إذا استطاع الإنسان أن يفلت من عقوبات الدنيا، فلن يستطيع أن يفلت من عقاب الآخرة.

والشريعة الإسلامية مقننة؛ مادة مادة، وقد انتهى البرلمان المصري من تقنينها منذ أكثر من ٤٥ عاماً، بكل كفاءة وكفاية، وأسهم في تقنينها أساطين القانون والمستشارين وكبار الفقهاء والمشرعين، وأفذاذ خريجي جامعات روسيا، وألمانيا، وفرنسا، وبريطانيا، وسويسرا وأمريكا.

وهي مفصلة تفصيلاً دقيقاً، بدءاً من القانون الدستوري وانتهاء بالعلاقات الدولية، مروراً بالقوانين المحلية والدولية، والقوانين التجارية والجنائية، بل وقوانين الإجراءات والمرافعات، وما زالت محبوسة بالأدراج منذ هذا التاريخ.

حقاً وصدقاً وعدلاً، إنها شريعة الصلاح والإصلاح والصلاحية، فيها من الكفاية ما يغنيها، وفيها من الغنى ما يكفيها، ونظام الأسرة في الإسلام أقوى حلقات سلسلة التشريع الإسلامي، وهو القبضة القوية التي ما زالت تحول دون تفكيك بنية المجتمع المسلم من الداخل، واستباحتها أمام الغزاة والقراصنة الجدد. ■

دعوة للتوبة

شعر:
رأفت عبيد أبو سلمى

كم تجاوَزْنا السَّعادةَ في المَنافي ... ونأى الأحبابُ في دنيا التجافي!
نكتبُ الأشعارَ.. نحيا في رُباها ... والمُنى الإبحارُ في عشْقِ القوافي
أيُّ عُمْرٍ راحَ منِّي.. كيف يُبكَى ... لن يعودَ العُمرُ من بَعدِ انصرافِ!
أيها الشيبُ النذيرُ العُمرُ وَلَّى ... كيف وَلَّى في اندثـــارٍ واقترافِ؟!
ما سكبتُ الدمـعَ إلا من فـؤادٍ ... منه في بحرِ الأسى ذابتْ شغافي
أيُّ شيءٍ يُفتدى بالمـالِ يُرجَى ... غيرَ عُمْرٍ دونه لا شيءَ كـــــاف
كم جرتْ منّي سُنونٌ مُسرعاتٌ ... لمْ تقفْ يومًا على أيِّ الضفـــافِ
كلُّها كانتْ عجافـــاً بالمعاصي ... يا لعفو الله عن تلكَ العجـــافِ
لا تدَع أيامَ عُمْرِكَ في ذهـــابٍ ... واغتنِمْها كي ترى فيها التعافـي
إنْ يكنْ فيكَ اعتلالٌ من ذنوبٍ ... تُبْ لِرَبِّكَ إنَّ وِرْدَ التَّوْبِ صـــافِ

طاعة الزوج أم طاعة الوالدين.. أيهما أولى؟

من أعظم وأقدس الروابط الإنسانية رابطة الزوجية، فهي آية ربانية وسُنة كونية، قال تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا﴾ (الروم: ٢١)، وقال عز وجل: ﴿وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ (الذاريات: ٤٩)، فإذا تقاطعت رابطة الزوجية مع رابطة الوالدية، فإن الأحكام الفقهية تتدخل لبيان الواجب الشرعي، بعيداً عن الأهواء والمصالح الشخصية، ويبلغ هذا الأمر صعوبته حين تسأل الزوجة الحائرة بين أمر زوجها وأهلها: ماذا أفعل؟ هل أقوم بواجب طاعة الزوج، أم بر الوالدين؟

من حقوق الزوج على زوجته:

١- الطاعة في المعروف:

يجب على المرأة أن تطيع زوجها فيما يأمر به وينهى عنه إلا إذا أمرها بمعصية، ففي سنن أبي داود بسند صححه الألباني عَنْ قَيْسِ بْنِ سَعْدٍ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قَالَ: «لَوْ كُنْتُ آمِرًا أَحَدًا أَنْ يَسْجُدَ لِأَحَدٍ لَأَمَرْتُ النِّسَاءَ أَنْ يَسْجُدْنَ لِأَزْوَاجِهِنَّ لِمَا جَعَلَ اللَّهُ لَهُمْ عَلَيْهِنَّ مِنَ الْحَقِّ»؛ فعلى المرأة أن تطيع زوجها في كل ما يصدر منه بشأن الأسرة بشرط أن يكون ذلك موافقاً للشرع، أما إذا أمرها بما يخالف الشريعة فليس له عليها طاعة.

٢- ألا تخرج الزوجة من بيته إلا بإذنه في غير ضرورة:

في مسند أبي يعلى أنه صلى الله عليه وسلم قال: «وَمِنْ حَقِّ الزَّوْجِ عَلَى الزَّوْجَةِ أَنْ لا تَخْرُجَ مِن بَيْتِه إلا بِإِذْنِه، فَإِنْ فَعَلَتْ ذَلِكَ لَعَنَتْهَا الملائِكَةُ حَتَّى تَرْجِعَ أَوْ تَتُوبَ»؛ فالأصل في حق الزوج ألا تخرج المرأة من البيت إلا بإذنه، واشترط الفقهاء في ذلك أن يكون البيت صالحاً للسكنى، فإن لم يكن صالحاً للسكنى كأن خافت سقوطه عليها، أو لم يكن له مرافق، فلها الخروج منه.

وقد ذكروا أسباباً لجواز خروج المرأة بغير إذن زوجها من المنزل: منها الخروج إلى مجلس العلم، إذا وقعت لها نازلة وليس الزوج فقيهاً، ومنها الخروج إلى حجة الفرض إذا وجدت محرماً تخرج معه، فليس للزوج منعها من ذلك[1].

> على المرأة أن تطيع زوجها فيما يأمر به وينهى عنه إلا إذا أمرها بمعصية

مذاهب الفقهاء في حكم منع الزوجة من زيارة أبويها:

يرى الحنفية أنه ليس للزوج منع زوجته من عيادة والد زَمِن (يعني كبير مريض) ليس له من يقوم عليه، ولا يجب عليها طاعة زوجها إن منعها من ذلك، سواء كان الوالد مسلماً أم كافراً؛ لأن القيام بخدمته فرض عليها في مثل هذه الحالة فيقدم على حق الزوج[2].

د. رمضان ابو علي

ليس من المعروف أن يمنع الرجل زوجته من صلة رحمها فلا يجوز منعها إلا لضرورة شرعية

لو علم الزوج علم اليقين بأن والدي الزوجة يحرضانها على النشوز فيجوز منعها من زيارتهما

جواز خروج المرأة بغير إذن زوجها كالخروج إلى حجة الفرض إذا وجدت محرماً تخرج معه

ويرى المالكية أنه لا يجوز للزوج أن يمنع زوجته من الخروج لدار أبيها وأخيها إن كانت مأمونة[٣].

وقال الشافعية والحنابلة: ليس لها الخروج لعيادة أبيها المريض إلا بإذن الزوج، وله منعها من ذلك، ومن حضور جنازته؛ لأن طاعة الزوج واجبة، فلا يجوز ترك الواجب بما ليس بواجب.

وقالوا: لكنه ينبغي ألا يمنعها من عيادة والدَيْن مريضين وحضور جنازتهما؛ لأن في ذلك قطيعة لهما وحملاً لزوجته على مخالفته، وقد أمر الله تعالى بالمعاشرة بالمعروف، ومنعها من عيادة والد مريض ليس من المعاشرة بالمعروف في شيء[٤].

خلاصة الأقوال:

الأصل أن الإسلام أمر بالمعاشرة بالمعروف بين الزوجين، حيث قال تعالى: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ (النساء: ١٩)، وليس من المعروف أن يمنع الرجل زوجته من صلة رحمها وزيارة أهلها، فلا يجوز منعها إلا لضرورة شرعية، فإذا وجدت هذه الضرورة فله أن يمنعها، وواجب عليها طاعته.

متى يمنع الزوج زوجته من زيارة أهلها وتجب عليها الطاعة؟

يجوز للزوج أن يمنع زوجته من زيارة أهلها إذا تيقن بوقوع الضرر بسبب الزيارة، سواء كان هذا الضرر دينياً أم دنيوياً، كأن يترتب على هذه الزيارة مفسدة وضرر، فلو علم الزوج علم اليقين بأن والدي الزوجة يحرضانها على النشوز وعلى عدم طاعة الزوج، ويحسّنان لها فعل ما لا يجوز شرعاً مثل خروجها سافرة غير ملتزمة بالحجاب الشرعي، فإنه يجوز للزوج أن يمنعها من زيارة والديها صيانة لها.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «الْمَرْأَةُ إذَا تَزَوَّجَتْ كَانَ زَوْجُهَا أَمْلَكَ بِهَا مِنْ أَبَوَيْهَا وَطَاعَةُ زَوْجِهَا عَلَيْهَا أَوْجَبُ»[٥].

ففي استجابتها له صيانة لرابطة الزوجية، ووسيلة إلى جلب رضا الزوج من خلال طاعته.

متى تقدم المرأة طاعة الوالدين على طاعة الزوج في مسألة زيارة أهلها؟

إذا وجد العجز المحقق الذي يمنع أهلها من زيارتها، ولم يكن هناك مانع شرعي من زيارتهم؛ فإن الذي ينبغي أن يفتى به هو قول الحنفية والمالكية، وهو عدم جواز منع المرأة من زيارة أهلها، فإذا صرح الزوج لزوجته بزيارة والديها فإنها تخرج بلباسها الشرعي ملتزمة بآداب ديننا الحنيف.

فإن رفض الزوج ذهابها وأصر على الرفض كان لها الخروج بغير إذنه إذا كانا عاجزين عن الحضور إليها، ولا يترتب على خروجها ضرر ولا تقصير في حق زوجها وبيتها.

وهنا ينبغي الالتفات إلى أمور:

أ- على الزوج ألا يتعسف في استعمال حقه، فيمنع الزوجة من صلة والديها وزيارتهما، إلا إذا كان هناك سبب شرعي.

ب- الزوجة الفطنة الذكية تستطيع بهدوء أن تحمل زوجها على السماح لها بزيارة والديها، وذلك بدلاً من خروجها كرهاً عنه، محافظة على استقرار البيت[٦].

هل حديث عدم زيارة الزوجة لوالدها المريض ودفنه بعد موته لأنها لم تستأذن زوجها صحيح؟

روى الطبراني عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِك، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَنَّ رَجُلًا خَرَجَ، وَأَمَرَ امْرَأَتَهُ أَنْ لَا تَخْرُجَ مِنْ بَيْتِهَا، وَكَانَ أَبُوهَا فِي أَسْفَلِ الدَّارِ، وَكَانَتْ فِي أَعْلَاهَا، فَمَرِضَ أَبُوهَا، فَأَرْسَلَتْ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَذَكَرَتْ لَهُ ذَلِكَ فَقَالَ: «أَطِيعِي زَوْجَكِ»، فَمَاتَ أَبُوهَا، فَأَرْسَلَتْ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: «أَطِيعِي زَوْجَكِ»، فَأَرْسَلَ إِلَيْهَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ اللَّهَ غَفَرَ لِأَبِيهَا بِطَاعَتِهَا لِزَوْجِهَا».

أما درجة الحديث فقد طعن في صحته العلماء، سنداً ومتناً.

أما سند الحديث فقد قال الهيثمي: ضعيف[٧]، وقال العراقي في تخريج أحاديث إحياء علوم الدين: ضعيف.

وأما متن الحديث فهو يعارض أمورًا مجمعًا عليها، حيث إن للأب حقوقًا عليها لا تحصى، أقربها وأظهرها ما يلي[٨]:

١- حق الأبوة، لقوله تعالى: ﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ (الإسراء: ٢٣).

٢- حق الإسلام، ففي صحيح البخاري عن أبي هريرة قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «حَقُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ خَمْسٌ: رَدُّ السَّلَامِ، وَعِيَادَةُ الْمَرِيضِ، وَاتِّبَاعُ الْجَنَائِزِ، وَإِجَابَةُ الدَّعْوَةِ، وَتَشْمِيتُ الْعَاطِسِ».

٣- حق الآدمية أو حق الإنسانية، ففي مسند أحمد عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا تُنْزَعُ الرَّحْمَةُ إِلَّا مِنْ شَقِيٍّ». ■

الهوامش

(١) الموسوعة الفقهية الكويتية (٢٤/ ٥٨).

(٢) الفتاوى الهندية (١ / ٣٤٠)، وشرح فتح القدير (٣ / ٣٠٤).

(٣) التاج والإكليل لمختصر خليل (٤/ ١٨٥).

(٤) المغني: ابن قدامة (٧ / ٢٠)، والمجموع: النووي (١٦ / ٤١١).

(٥) مجموع الفتاوى (٣٢/ ٢٦١).

(٦) المفصل في أحكام المرأة والبيت الإسلامي: د. عبدالكريم زيدان (٧/ ٢٩٥) وفقه الزواج: د. محمد إبراهيم الحفناوي، ص ٢٩١.

(٧) مجمع الزوائد (٤/ ٣١٣).

(٨) فقه الزواج: د. محمد إبراهيم الحفناوي، ص ٢٨٩.

لهفة أب على فلذة فؤاده

ما ضوابط التعامل مع تجاوزات زوج الابنة؟

د. يحيى عثمان
استشاري تربوي وعلاقات أسرية

أخي الكريم د. يحيى، أريد أن أستفسر عن كيفية التعامل مع زوج ابنتي، وما الضوابط الشرعية في ذلك؟ خاصة أن والده الذي كان يمكن الرجوع إليه قد توفاه الله، كان رجلاً ذا خلق، وكانت تربطني به علاقة طيبة.

بداية، أشهد الله أنني عاملته ليس مثل ابني، بل أفضل مما يمكن أن يعامل والد ولده، فلم أسبب أي مشكلة له، بل ولله الحمد والفضل وحده ما ادخرت جهداً لأحافظ على بيته، ولكنه قابل ذلك بتجاوزات، وحباً لابنتي وحتى لا ينعكس ذلك عليها سلباً كنت أغض الطرف وأتجاهل وأعفو ولا أطالبه حتى بالاعتذار.

وكنت أنصحه في تقصيره بالتي هي أحسن، ولكن بناء على طلب ابنتي توقفت! نعم للأسف توقفت عن نصحه حتى لا يسبب ذلك مشكلات لابنتي.

عاش معظم عمر أبنائه مغترباً لتكوين ثروة؛ ما حرمه وزوجته وأولاده من حياة عائلية طبيعية، وترتب على ذلك اضطراب علاقاته بهم؛ من قصور في أدائه كزوج وكأب، خاصة أنه عندما يتواجد معهم يكون قيمة مضافة! حرصت ابنتي منذ زواجها على ألا تشاركنا مشكلاتها وزوجها؛ ما أضعف موقفها، ومثَّل ذلك ضغطاً عصبياً عليها، من الطبيعي كوالدين كنا نشعر بمعاناتها، ولكن كنا نبتلع آلامها ونخفف عنها ما نستطيع دون جرح كبريائها.

ما أثار المشكلة، أنه عندما التحق الأولاد بالجامعة طلب من زوجته أن تعيش معه، وعلل ذلك بأنه كبر ولم يعد يستحمل أن يعيش بمفرده! بدلاً من أن يقول لها: كفاك معاناة فقد كنت نِعْم الأم والأب في غيابي! حدثت اضطرابات في البلد الذي يقيم فيه؛ ما قد يؤثر على سلامتهم، نصحته بالمغادرة والعمل عن بُعد، ولكنه قال: إن طبيعة منصبه تحول دون مغادرته، أما بالنسبة لسفر زوجته، فإن تذاكر السفر كلفتها مرتفعة! عرضت عليه أن أرسل ثمن التذاكر، وأن يطمني لأن تطورات الأحداث متلاحقة، للأسف الشديد لم يرد! كيف أتصرف؟ هل لو حاول الاتصال بي ماذا أفعل؟

التحليل:

ولِيّ الفتاة والدها حتى تتزوج فيصبح وليها زوجها من خلال قوامته عليها، والقوامة أن يقوم الزوج بشؤون زوجته وكفالة الحياة الآمنة المستقرة لها وتوفير احتياجاتها المادية طبقاً لطاقته، وتلبية احتياجاتها المعنوية؛ ولعل أهمها الأمان والاستقرار النفسي، وهو ما عبّر عنه الشارع الحكيم بالسكينة من خلال المودة والرحمة؛ ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجاً لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (الروم: ٢١).

تقصير الزوج في حق زوجته أذى مباشر

على زوجته وغير مباشر على والديها، ويتألم الوالدان للأذى الذي لحق بابنتهما أكثر منها، وقد تسامح الزوجة في حقها، ولكن قد لا يسامح الوالدان من أذاهما في أولادهما.

الأصل أن تخلص الزوجة النية وتبذل جل وكل جهودها لإصلاح نفسها وزوجها، وحل خلافاتهما دون تدخل من أحد، وأن يظل ذلك من الأسرار التي يجب أن يحرص عليها الزوجان، فإن باءت جهودها بالفشل وأصر زوجها على غيّه، فيجب أخذ مشورة أحد المتخصصين، فإن رفض الزوج، واستطاعت أن تصبر دون ضرر عليها فجزاها الله خيراً، وإلا فوجب عليها أن تطلع والدها.

وطيب جداً أن يتفق الزوجان على ألا يُطلعا أحداً على خلافاتهما، ولكن هذا لا يعطي الزوج الحق في أن ينفرد بزوجته ويظلمها مادياً أو معنوياً الذي قد يكون أكثر تدميراً من الظلم المادي؛ لذا، من حق الزوجة على والدها أن ينصفها من زوجها بالحسنى، وإلا يكون الوالد قد أخل بحق ابنته عليه.

ومن الخلق الطيب أن تصبر الزوجة على زوجها مع الدعاء له والأخذ بالأسباب لعلاج الخلل بينها وبين زوجها، لكنَّ هناك فرقاً بين صبر الزوجة المأجورة عليه؛ (وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ) (البقرة: ١٥٥)، والخنوع والاستسلام والدنية في الحياة؛ ﴿وَإِن يَتَفَرَّقَا يُغْنِ اللَّهُ كُلًّا مِّن سَعَتِهِ﴾(النساء: ١٣٠).

إن الضغوط النفسية الناشئة من الصمت العقابي أو التجاهل أو عدم القدرة على الحوار البناء المثمر أو التوتر النفسي أو غيرها من الأساليب الضاغطة التي قد يمارسها الزوج على زوجته حتى وإن لم يتلفظ بلفظ جارح؛ تسبب عادة للزوجة انكفاء على الذات واحتراقاً داخلياً.

الحياة مليئة بأمثلة عديدة من تلك الضغوط وكذلك البيوت، ولكن شتان أن يحدث ذلك نادراً ثم سرعان ما يسعى الزوج إلى إصلاح ما أفسده، فيحدث ما يطلق عليه بالتفريغ النفسي وتلتئم الجروح، أما أن يكون ذلك النمط الطبيعي للعلاقة التي تسمى علاقة زوجية، فالنتيجة إما أن تنفجر الزوجة فجأة أو تسقط مريضة، وقد يستيقظ الزوج من غفلته وظلمه لنفسه وزوجته، ولكن بعد فوات الأوان.

أمانة ولاية الأنثى لا تنقضي أو تنفك بزواجها، فولاية الوالد لابنته تتطلب منه مراقبة وتقييم ولاية زوج ابنته عليها، ولكن لا يحق للأب أن يتدخل في حياتهما أو أن يسأل عنها، إلا إذا شعر بخطر حقيقي يهدد حياتهما، ففي هذه الحالة وجب عليه النصيحة بالحكمة والموعظة الحسنة، فإن استجاب الزوج فخير وإلا تسقط ولاية الزوج؛ لأنه لم يعد أميناً على القيام بواجبات القوامة، ووجب على والد الزوجة الأخذ بالأسباب لحماية ابنته.

إلى كل زوج، اتقِ الله فيما استأمنك عليه والد زوجتك، فقد أهداك أغلى ما يملك؛ ابنته وقرة عينه، واحذر أن تضيع الأمانة، حتى لا تكون بك صفة من النفاق؛ «وإذا أؤتمن خان»، وإذا كنت اليوم زوج ابنة، فغداً تكون والد زوجة، وتذكر: «كما تدين تدان».

حقوق والد الزوجة:

علاقة الزوج بوالدَيّ زوجه ليست علاقة ندية، فهي ليست كعلاقته بأخي أو أخت زوجه، حتى وإن أخطأ، فلا يواجه خطأه بالمثل، بل بالعفو والانسحاب.

من الود بالزوجة تقدير واحترام والديها، ومن التطفيف تقدير والدَيّ الزوج بقدر أعلى من تقدير والدَيّ الزوجة.

عادة ما يكون والد الزوجة في سن تقارب سن والد الزوج؛ «من لم يرحمْ صغيرَنا ويُوقرْ كبيرَنا فليس منَّا» (صحيح، النوافح العطرة، ٤٠٦).

في الغرب غير المسلم يطلقون على والد الزوج «Father-in-law»، فما بالنا بالقيم الإسلامية التي توجب تقدير والدَيّ الزوجين؟!

واجب على الزوج أن يطمئن والدَيّ زوجته على ابنتهما، إنها أسيرة عنده؛ «اتقوا اللهَ في النساءِ فإنهن عوانٍ عندكم» (صحيح، زاد الميعاد، ٥/ ١٧١).

حقوق زوج الابنة:

زوج الابنة هو الرجل الذي استودعته قرة عينك، فمن حقه معاملته بكل حب وتقدير، ولكن بالقدر الذي لا يفقدك مكانتك كوالد زوجته وجدّ أبنائه فيتجاوز، وإن حدث؛ فجزاك الله خيراً أن تعفو، ولكن يجب أن تبيّن له خطأه ويعتذر، حتى لا يستمرئ التجاوز معك.

كما أن من حقه الحرص على مصلحته، ونصحه بالحسنى، دون التدخل في خصوصية حياته الزوجية، فمن حقه، بل واجبه إدارة حياته الزوجية بما يتوافق مع زوجته، ودون الإخلال بالوفاء بتلبية احتياجاتها المادية والمعنوية ويحقق لها السكينة والطمأنينة النفسية.

بناء على ما سبق عليك:

١- تجنب ابنتك التأثير السلبي لتوتر علاقتك بزوجها، فهو حبيبها وأنيسها وسندها ووالد أولادها.

٢- الدعاء له، وإعذاره، فقد يكون تحت ضغوط عمل، كما يجب بيان خطئه بالحسنى، فإن أدرك خطأه واعتذر؛ فاصفح واعفُ وأحسن واحتسب عند الله، وإلا فتجنبه، يجب أن يحرص الزوج وأهل زوجه على تحسين علاقتهم، دعماً للزوجين في علاقاتهما، ولكن إذا فشلوا في بناء علاقة طيبة تجمعهم، فيجب ألا ينعكس ذلك سبباً على علاقة الزوجين. ■

يا عبدَ جَهْلِك!

أمين حميد

قديماً، في بلاد اليونان، أخذ أحد الأغنياء ولده وقصد أحد الحكماء، وقال له: أيها الحكيم، أريد أن ينشأ ولدي متعلماً، فجئت به لينال منك العلم.

هز الحكيم رأسه معجباً بالرجل، وقال له: خيراً فعلت.

فلحقه الغني سائلاً: ولكن أيها الحكيم، كم ستأخذ مقابل تعليم ولدي؟

فأجاب الحكيم: خمسمائة قطعة من النقود الفضية.

وكان الرجل الغني بخيلاً، فصرخ: كم؟! ذلك مبلغ كبير جداً أيها الحكيم، إنني أستطيع أن أشتري عبداً بأقل من هذا المبلغ!

فاندهش الحكيم من بخل الغني وجهله، وسأله في هدوء: تشتري عبداً؟!

ثم أضاف ولا يزال على هدوئه: اذهب واشترِ عبداً، لتصبح مالكاً لعبدين؛ أولهما عبدك الذي ستشتريه، وثانيهما أنت يا عبدَ جهْلِك! ■

لمشاهدة الحلقة كاملة

لمشاهدة الحلقة كاملة

راشد (يلهث ويضحك): لن تمسك بي يا جدي، أنا بطل خارق وسريع كالبرق!

سارة (تقفز بمرح): من هنا يا جدي، حاصره!

الجد (يضحك ويركض بخفة ثم يمسك راشد): أمسكت بالبطل الخارق، لكن نفدت طاقتي.

لعبنا وفرحت أجسادنا، والآن جاء وقت أن تفرح قلوبنا بكلام الله!

راشد (يقرأ بصوت طفولي): ﴿أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ (الرعد: ٢٨).

الجد (يبتسم ويمسح على رأس راشد): صدق الله العظيم، بارك الله فيكم يا أبطال.

سارة (تتسع عيناها وتشهق بفزع): هئ! ما هذا؟! وتزحف بسرعة وتسحب راشداً وتدخل تحت السفرة: اختبئ يا راشد، صاروخ قادم، ادخل بسرعة!

راشد (يسقط معها وهو يرتعد): يا الله! جدي! ماذا نفعل؟!

الجد (بهدوء): هل يوجد مكان لي في هذا المخبأ السري؟

سارة (ترتجف): جدي، انزل، الصوت مخيف!

الجد (يجلس على الكرسي): طاولة الطعام لن تحمينا، لكن حبيبنا النبي صلى الله عليه وسلم أخبرنا أن من يذكر الله تحفه الملائكة وتنزل عليه السكينة، وهذا هو أقوى درع لا يخترقه شيء!

راشد (بتعجب): درع من الملائكة والسكينة؟!

الجد: نعم إنه الدعاء والذكر، كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا نزل به كرب يقول هذه الكلمات، هيا نرددها معاً: «لا إله إلا الله العظيم الحليم، لا إله إلا الله رب العرش العظيم، لا إله إلا الله رب السماوات ورب الأرض ورب العرش الكريم».

وراشد، وسارة، يرددان خلف جدهما.

الجد (مبتسماً): اعلموا يا أولاد أن الله أكبر من أي صوت ومن أي خطر.. هل توقف الصوت؟

سارة (بفرحة): نعم توقف!

الجد: عندما ينجينا الله، ماذا نفعل؟

راشد (بحماس): نسجد سجدة شكر لله!

الجد: أحسنت! (بعد السجود رفع الجد يديه): اللهم احفظ الكويت وأهلها من كل سوء، واجعلها ديرة أمن وأمان، واحفظ أطفالنا وبلاد المسلمين أجمعين.

في الأثناء حدث صوت رعد قوي جداً أو إنذار مفاجئ يهز النوافذ، وراشد في غرفته، يفتح عينيه في السرير، ويبتسم بثقة ويهمس لنفسه: الله أكبر.. الحمد لله.

وسارة في المطبخ مع أمها وتمسك يدها بثقة: لا تخافي يا أمي، رددي معي: «لا إله إلا الله العظيم الحليم، لا إله إلا الله ■

قراءة في أداء الإعلام الكويتي خلال الأزمة الخليجية الأخيرة(*)

محمد سالم الراشد
رئيس تحرير «المجتمع» السابق

لم تعد الحروب الحديثة تُحسم في ميادين القتال وحدها، بل أصبحت تُخاض بالتوازي في الفضاء الإعلامي، ومنصات التواصل، وغرف الأخبار العالمية ومراكز الدراسات والبرلمانات وحتى داخل عقول الرأي العام الدولي؛ ولذلك بات الخبر والصورة والبيان والمعلومة الموثقة والسردية المتماسكة جزءاً من منظومة الأمن الوطني لا يقل أهمية عن الدفاع العسكري أو الأمن السيبراني.

وقد كشفت الأزمة الخليجية الأخيرة، التي شهدت مواجهة عسكرية واسعة بين الولايات المتحدة و«إسرائيل» من جهة، وإيران من جهة أخرى، أن دول الخليج لم تتأثر فقط عسكرياً أو اقتصادياً أو مدنياً، بل تعرّضت أيضاً لاختبار شديد في قدرتها على حماية روايتها الوطنية أمام سيل من الروايات المتنافسة.

وكانت الكويت، بحكم موقعها الجغرافي ودورها السياسي والإنساني، واحدة من الدول التي وجدت نفسها داخل دائرة التأثير المباشر للأزمة، إلا أن أداءها الإعلامي كشف عن حالة تستحق المراجعة.

فأحد أبرز الدروس التي كشفتها الأزمة الخلط بين الإعلام السياسي الاحترافي، والخطاب الجماهيري أو الانفعالي، فالرواية الوطنية ليست خطاباً حماسياً، وليست مناظرة عاطفية، وليست دفاعاً مرتجلاً أمام كاميرات الفضائيات، إنها عملية علمية متكاملة تقوم على: الوقائع الموثقة، والبيانات الدقيقة، والحجج القانونية، والمعرفة التاريخية، وفهم الجمهور المستهدف، إدارة الصورة الذهنية للدولة.

ولهذا السبب تخصص الدول الكبرى وحدات كاملة لما يسمى «الاتصالات الإستراتيجية»، التي تعمل جنباً إلى جنب مع وزارات الدفاع والخارجية وأجهزة الأمن الوطني.

وخلال الأزمة، برز عدد من المتحدثين الكويتيين في الفضائيات العربية، لكن المتابع يلاحظ أن كثيراً من المشاركات اتسمت بسمات متكررة عدة، منها: الاعتماد على الانفعال أكثر من المعلومة، وضعف استخدام الأرقام والوثائق، وغياب المرجعيات القانونية والدولية، والانتقال إلى سجالات شخصية، وضعف الإعداد المسبق، واختلاف الرسائل بين المتحدثين، وغياب الرسالة المركزية الموحدة.

والنتيجة أن الرواية الكويتية لم تظهر دائماً بالقدر نفسه من القوة التي تتمتع بها مواقف الدولة وسياساتها على أرض الواقع، وهنا ينبغي التأكيد أن المشكلة ليست في الأشخاص بقدر ما هي في غياب منظومة وطنية لإعداد المتحدثين وإدارة الرسائل الإعلامية أثناء الأزمات، ولقد أثبتت تجارب عدد من الدول أن بناء الرواية الوطنية يحتاج إلى مؤسسات لا إلى اجتهادات فردية، منها:

أولاً: أوكرانيا: منذ عام ٢٠٢٢م، اعتمدت كييف على مركزية الرسالة الإعلامية، وتوحيد الخطاب الرسمي، والاستفادة من البيانات اليومية، والخرائط، والصور، واللغات المختلفة، مع حضور دائم للخبراء المدنيين والعسكريين في وسائل الإعلام الدولية.

ثانياً: «إسرائيل»: بغض النظر عن الاختلاف مع سياساتها، فإنها تمثل نموذجاً متقدماً في إدارة السردية الإعلامية؛ إذ تمتلك شبكة واسعة من المتحدثين المدربين، ومراكز معلومات، ووحدات للرصد الرقمي، ومحتوى متعدد اللغات، إضافة إلى حضور مستمر في الجامعات ومراكز التفكير والإعلام الدولي.

ثالثاً: بريطانيا أثناء حرب فوكلاند: أنشأت الحكومة غرفة عمليات إعلامية موحدة، كانت تقدم المعلومات بصورة منتظمة، وتنسق الرسائل بين الجيش والحكومة ووزارة الخارجية، بما حدّ من التضارب وأكسب الرواية الرسمية قدراً أكبر من المصداقية.

رابعاً: فنلندا: طورت مفهوم «المجتمع المقاوم للمعلومات المضللة»، حيث يجري تدريب المسؤولين والإعلاميين وحتى الطلاب على كيفية التعامل مع حملات التأثير الخارجية، فأصبحت مقاومة التضليل جزءاً من الأمن الوطني.

لا يزال الإعلام الرسمي في الكويت يمتلك إمكانات كبيرة، لكنه يحتاج إلى الانتقال من الإعلام الإخباري التقليدي إلى الإعلام الإستراتيجي، ففي زمن الأزمات لم يعد البيان الصحافي وحده كافياً، بل تحتاج الدولة إلى: محتوى بصري سريع، وخرائط تفاعلية، وبيانات محدثة، وفيديوهات قصيرة، ومتحدثين محترفين، ومحتوى بلغات عدة، وحملات رقمية موجهة للرأي العام الخارجي، فالرواية التي تصل أولاً غالباً ما تصبح هي الرواية التي يصدقها الناس.

أما الإعلام الشعبي، فقد شهدت منصات التواصل الكويتية نشاطاً واسعاً، لكنه بقي في كثير من الأحيان رد فعل أكثر منه مبادرة، فالفضاء الرقمي لا يدار بالعاطفة، بل بخوارزميات وانتشار وتأثير، وهو ما يتطلب وجود فرق محترفة للرصد والتحليل وصناعة المحتوى والاستجابة السريعة، مع المحافظة على المصداقية والالتزام بالقانون.

ربما حان الوقت للتفكير في مشروع وطني جديد يمكن أن يحمل اسم: «المركز الكويتي للاتصالات الإستراتيجية والرواية الوطنية»، ويتولى هذا المركز مهام، مثل: إعداد الرواية الوطنية أثناء الأزمات، وتدريب المتحدثين الرسميين وغير الرسميين، وإعداد بنك معلومات وطني، وإنشاء وحدة للرصد الإعلامي العالمي، وإنتاج محتوى احترافي متعدد اللغات، والتعاون مع الجامعات ومراكز الدراسات، وإعداد مؤشرات لقياس تأثير الرسائل الإعلامية، وبناء شبكة من الخبراء الكويتيين القادرين على تمثيل الدولة في الإعلام الدولي.

كما يمكن إنشاء برنامج وطني لاعتماد المتحدثين الإعلاميين، بحيث يخضع المشاركون لتدريب في القانون الدولي، وإدارة الأزمات، والإقناع، وتحليل البيانات، والمناظرات، والاتصال الإستراتيجي، قبل تمثيل الرواية الكويتية في المنصات الدولية.

لقد أثبتت الأزمات الحديثة أن الدفاع عن الوطن لا يقتصر على الجندي الذي يحرس الحدود، ولا على الدبلوماسي الذي يتفاوض، ولا على رجل الأمن الذي يحفظ الاستقرار فقط، بل يمتد إلى من يمتلك القدرة على تقديم رواية وطنية موثقة، متماسكة، ومقنعة، والكويت تمتلك رصيداً سياسياً وأخلاقياً وإنسانياً كبيراً في المنطقة، لكن هذا الرصيد يحتاج إلى منظومة إعلامية قادرة على تحويله إلى خطاب عالمي مؤثر.

ففي زمن الحروب الهجينة، قد تكون الكلمة المدعومة بالحقيقة والبيانات أكثر تأثيراً من كثير من أدوات الصراع الأخرى، وإذا كانت الجيوش تحمي الحدود، فإن الإعلام الإستراتيجي يحمي الصورة والشرعية والثقة، وهي أصول لا تقل قيمة في معادلات الأمن الوطني المعاصر. ■

(*) منشور بالتزامن مع «الراي» الكويتية.

اشترك أو جدد

داخل الكويت	10 د.ك
الدول العربية	17 د.ك
الدول الأجنبية	25 د.ك
المؤسسات والشركات	30 د.ك

قسيمة اشتراك بمجلة (المجتمع)

اسم المشترك :.....

العنوان :.....

صندوق البريد :..... الرمز البريدي:.....

تليفون :00965972282900 البريد الإلكتروني :sales@mugtama.com

الدفع على حساب : 0008881094 بنك بوبيات

(IBAN) KW54BBYN0000000000000008881094

رقم الموافقة: ج / 1 / أ خ 2 / 2026 - بداية الموافقة 2025/08/28 - نهاية الموافقة: 2026/12/31- يمنع الجمع النقدي
النسبة الإدارية لاتتجاوز 12.5% بناءً على تعليمات وزارة الشؤون